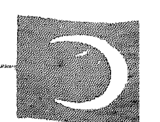
كتاب الهلال



سلسلة
ثقافية
شهرية

محمد فريد

ذكريات ومذكرات

صبري أبو المجد

الغلاف بريشة
الفنان حلمى التونى

صبري ابو المجد

محمد فريد

ذكريات ومذكرات

دار الهلال

مقدمة

عندما بدأت العمل بالصحافة ـ وكان ذلك فى عام ١٩٤٨ ـ فكرت فى أن أكتب عن محمد فريد ـ رمز الاخلاص والتضحية ـ من زاوية جديدة وذلك بمناسبة ذكراه فى ١٥ نوفمبر ، وأشار على بعض زملائى بالاتصال بعبد الخالق فريد ـ نجل الفقيد ـ لعلى أجد عنده زاوية جديدة للحديث عن والده ورحت أبحث عن عنوان الرجل الذى فارقه أبوه وهو لم يزل طفلا صغيرا ، الى أن عرفت بعد جهود شاقة انه لضيقه وتبرمه بالاحداث السياسية التى تمر بها بلاده قد هجر العاصمة وانقطعت صلاته بكل من يعرف فيها وآثر الاقامة فى بنى سويف .. وذهبت اليه هناك لأستقبله كما يستقبل الانسان مخلوقا عزيزا لديه ، وليستقبلنى هو بفتور ، وبرود .. لقد ظن الرجل اننى واحد من الصحفيين الذين يبحثون عن الوقائع أو الاحداث المثيرة بين تركات الموتى ، واننى ما قطعت هذه المسافة الطويلة الا لاحصل على نصر صحفى رخيص بسبب ضجة صحفية رخيصة .. ووجدت نفسى ـ مضطرا ـ الى أن أذكره بتلك الحفلات العديدة التى كنا نقيمها ـ كشباب ـ فى المنصورة وفى طنطا وننفق عليها من مصروفنا اليومى الضئيل ، ونتعرض

فيها لهجوم البوليس وضربات هراواته ، لأنه لا يريد لنا أن نحتفل بذكرى محمد فريد .. ووجدتنى ـ على مضض ـ أذكره بتلك الليالى السوداء ، التى كنا نتسلل فيها ـ كاللصوص ـ الى دار النائب السابق محمد محمود جلال ـ أصدق وأوفى تلاميذ فريد ـ بالدقى ، لنحتفل معه رغم الأحكام العرفية ورغم الاحتلال البريطانى بذكرى محمد فريد .. محمد فريد ذلك الزعيم الذى عشقناه وان لم نره ، بل ولم نعش حتى فى زمانه ولم نكن نعرف عنه الا من خلال قصص وروايات سمعناها من بعض الرواة ، وقرأناها فى بعض كتب التاريخ .. وفجاة احسست بقلب الرجل الكبير ينفتح لى على مصراعيه ويقوم من فوره ليفتح دولابا صغيرا ، برفق ، وعناية ، ويخرج لى منه بعض الكراسات والخطابات القديمة ويقدمها لى قائلا : « تستطيع أن تقرأ هنا بعض تاريخ بلدك على حقيقته .. »

وغرقت فى القراءة حتى كدت انسى موعد آخر قطار يربطنى بالعاصمة ، وعندما استأذنت ـ كارها ـ فى الانصراف أخذ الرجل رزمة كبيرة من الخطابات والكراسات وأعطاها لى قائلا : « تستطيع ان تقرأها على مهل »

وعجبت وانا فى عجلة من أمرى لكى الحق بالقطار وسالت نفسى فى ذهول ودهشة : « أهكذا يعطينى هذا الرجل بمثل هذه السهولة هذا الكنز التاريخى الذى لا مثيل له ؟ .. »

واحس الرجل ـ لذكائه ـ بما دار فى ذهنى فقال لى وهو يودعنى بحرارة ـ كما استقبلته بحرارة ـ

« انا واثق من انك ستبالغ فى الاحتفاظ بتراث محمد فريد فهو ليس والدى وحدى ، بل هو والدك ووالد كل المواطنين الشرفاء ، فى هذا البلد »

وبالرغم من ضجيج القطار وعجيج الركاب فقد ظلت عباراته تملأ على مسامعى كما ظلت هذه الثروة العظيمة التى هبطت على فجاة تملك على احاسيسى .. لقد عشت فترة طويلة وانا غارق فى هذه الوثائق والمستندات التى أودعنى اياها عبد الخالق فريد والتى ظلت رغم عشرات الايدى ، التى امتدت اليها لاستغلالها أو لتحريفها كما هى ، بلا زيادة ولانقصان ، وكنت أعجب لأن كتب التاريخ التى بين أيدينا تختلف تماما عما اقرؤه فى هذه الوثائق والمستندات ، ولقيت عبد الخالق فريد مرة ثانية ، وثالثة ، وكنت أرد اليه بعض ما انتهيت من قراءته ودراسته لآخذ دفعات جديدة واكثر من مرة حاولت نشر بعضها فكان يرفض بكل شدة لأنه مصر على نشرها كلها دفعة واحدة .. واذا كان لا يمكن نشرها كلها ، فلتبق كما هى .. وكنت فى كل مرة أجد نفسى - بسرعة وبدون تردد - أوافقه على رأيه .. ونقل عبد الخالق فريد الى القاهرة واصبحت هذه المستندات والوثائق قريبة منى أقرؤها على مهل .. واستعيد بعضها عندما تحين لدى فرص الاستمتاع بها ..

وبدأت من ذلك التاريخ امارس هواية البحث عن الوثائق والمستندات الخاصة بتاريخنا القومى منذ عام ١٨٨٢ ، وعثرت على ما لم ينشر من قبل من مخطوطات عرابى ، وعبد العال حلمى ، وعلى فهمى ، ومحمود فهمى .. كما عثرت على خطابات لم تنشر من

قبل لمصطفى كامل ، وعلي فهمى كامل ، وأمين الرافعى وغيرهم ، وغيرهم ، ممن لعبوا أدوارا هامة فى تاريخنا القومى ..

وبدأت اتصل بالأحياء من قدامى الوطنيين ممن طحنتهم ثوراتنا وانتفاضاتنا القومية ، وسافرت الى الاسكندرية واسيوط وديروط والزقازيق .. و.. و.. حيث يقيم بعض هؤلاء واستمعت منهم الى الاسرار التى ظلت حبيسة فى صدورهم كما استعرت منهم بعض الوثائق والمستندات التى حافظوا عليها - كعيونهم - طوال السنوات الماضية ! !

واذكر اننى فى مطلع ثورة ٢٣ يوليو ، ذهبت الى استاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى ، الذى استطاع ان يصل هذا الجيل عن طريق كتبه الوطنية بالاجيال السابقة اطلب منه ان يعيد النظر فى تاريخنا القومى فقال لى : « لقد كنت فى كل ما كتبت قاضيا والقاضى لا يعيد النظر فى احكامه ، على أن تلك المهمة - مهمة اعادة النظر فى تاريخنا - من واجبكم انتم أيها الشباب » ..

ودفعتنى تلك الكلمة الى أن أزيد من جهودى لدراسة تلك المرحلة الهامة من مراحل تطورنا تلك التى بدأت بالثورة العرابية ، وذهبت الى الكثير من المكتبات التى ضمتها القصور الملكية المصادرة ابحث عن الحقائق الضائعة ثم وجدت نفسى فى رحلاتى الصحفية الى بعض البلدان العربية احاول أن اعثر على كل ما يمكن ان يفيدنى فى بحثى.. وراسلت بعض الشخصيات التاريخية المعاصرة فى كثير من البلدان الاوربية لعلى اجد عندهم بعض ما يتصل بهذه الفترة التاريخية من

وثائق ومستندات ..

ثم وجدتني أحبس نفسي شهورا فى خزانات دار الكتب بالقلعة باحثا عن المفاتيح التى تيسر لى فهم ما فى هذه الوثائق من الغاز وأحاجى ..

وبعد ذلك كله بدأت محاولة لاعادة النظر فى تاريخنا السياسي ، وكدت اتراجع فى بداية الامر لاعتقادى أن مثل هذه المهمة لايستطيع فرد مهما كان اخلاصه ومثابرته ، أن يقوم بها وحده .. غير أن الاكتشافات العلمية التى وجدتها فى هذا التراث التاريخى قد شجعتني وحرضتنى على أن أدفع بنتاج ما حصلت عليه الى النور ، لقد اكتشفت ـ مثلا ـ ان محمد فريد فى بداية عهده بالحياة العامة كان مؤرخا من طراز جديد يهتم بالاحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والذهنية ويعطى لكل منها ما تستحق من رعاية وعناية .. ولم يكن يعطى اهتمامه ـ كما كان يفعل الآخرون ـ لتصرفات القادة الكبار بل كان يعطى الكثير من اهتمامه للتطورات والتغييرات والأحداث الشعبية ولن اتهم بالمبالغة اذا ما قلت ان ما تركه محمد فريد من تأريخ للفترة ما بين ١٨٩١ ـ ١٨٩٨ ـ اظلم فترة فى تاريخنا الحديث ـ تعتبر بحق من أهم الاكتشافات العلمية التى تناولت بصدق وعلم وخبرة واتزان وتفصيل هذه الفترة .

ولقد اكتشفت ـ فى نفس الوقت ـ ان مئات الخطابات التى أرسلها محمد فريد الى أصدقائه وزملائه والتى ارسلها اليه هؤلاء الاصدقاء والزملاء وفى مقدمتهم مصطفى كامل ، وعزيز المصرى ، ولطفى السيد ، وعلى الشمسى ، وامين الرافعي ، ومحمود

عزمي ، وعبد الرحمن الرافعي ، ومدام جوليت آدم ، وبيير لوتي ، وروذستين الذي عمل سكرتيرا خاصا للينين فترة طويلة من الوقت ، وغيرهم وغيرهم ممن كانت لهم أدوار هامة في تاريخنا القومي ، قد حوت خطاباتهم اخطر وادق الاسرار .

وعرفت من خلال الوثائق ان خلافا حادا وخطيرا قام بين محمد فريد ، وعلى فهمي كامل غداة وفاة مصطفى كامل وان الخديو عباس حلمي ورجاله كانوا هم الذين اوجدوا هذا الخلاف فقد اوهموا ــ كما تقول مذكرات محمد فريد ــ على فهمي كامل شقيق مصطفى كامل انه احق الناس بوراثة اخيه في زعامة الحركة الوطنية وقد بذلوا في سبيل ذلك جهدا كبيرا وانفقوا أموالا طائلة بغية احداث انشقاق خطير في قيادة الحركة الوطنية غير ان وطنية على فهمي كامل وبعد نظر محمد فريد وصلابة رفاق مصطفى كامل ومحمد فريد قضت على هذه المؤامرة فلم يكتب لها النجاح .

كما عرفت ان خلافا حادا وعنيفا قام بين قيادة الحركة الوطنية غداة سفر محمد فريد الى منفاه حول موقف الحزب الوطني من الخديو .. أيقترب منه أم يتباعد عنه ؟ .. وان هذا الخلاف قد تفاقم أمره بعد سلسلة من المقالات العنيفة التي كتبها محمد فريد ضد الخديو في صحيفة « لي سييكل » الفرنسية وأن فريقا من اللجنة الادارية للحزب قد ارتأى التحقيق مع محمد فريد رئيس الحزب بخصوص هذه المقالات وان على فهمي كامل هو الذي قام بالتحقيق وسؤال محمد فريد ــ كتابة ــ وان محمد فريد قدم استقالته من رئاسة الحزب .

ومن الوثائق التى خلفهـا محمد فريد نعرف كيف كان محمد سعيد باشا يمالىء الحزب الوطنى والحركة الوطنية عندما كان وزيرا فى وزارة بطرس غالى وكان يقدم المساعدات الادبية والتسهيلات الادارية فيما يتعلق باصدار بعض الصحف الوطنية .. فلما اغتيل بطرس غالى بيد ابراهيم الوردانى واصبح محمد سعيد رئيسا للوزارة انقلب واصبح حربا على الحركة الوطنية .

ومن هذه الوثائق قصة اللجنة السرية التى كانت تدير قيادة الحزب الوطنى مع وجود اللجنة الادارية وهى اللجنة المنتخبة من اعضاء الجمعية العمومية للحزب والتى تعتبر ـ طبقا لدستور الحزب ـ هى المسئولة عن كل أعمال الحزب كما اكتشفت القصة الحقيقية لخروج محمد فريد من مصر للمرة الاخيرة عقب توالى اضطهاد الحكومة له وسجنها اياه والتحقيق معه بعد خروجه من السجن .. و .. و ..

وقد أوضحت تلك الوثائق حقيقة الخلاف الذى قام بين أعضاء اللجنة الادارية عندما انعم سلطان تركيا على بعض اعضاء هذه اللجنة برتبة البكوية وكيف رفض البعض لأنهم ليسوا هواة رتب وكيف قبل البعض لأن ذلك يغيظ خديو مصر والانجليز باعتبار أن مصر ما تزال وقتئذ (١٩١٤) جزءا من دولة الخلافة العثمانية .

وأوضحت الوثائق التى خلفها محمد فريد مؤامرة دبرها الخديو لابعاد كثير من الشخصيات الفنية التى كانت تؤازر بالمال الحزب الوطنى قبل الحرب العالمية الاولى وكيف أغراهم بالالقاب والاموال حتى لقد بيعت ـ بعد أن امتنع القادرون عن دفع ما هو مطلوب منهم للحزب ـ

فى ٢٢ يونية عام ١٩١٣ أمتمة نادى الحزب الوطنى وفاء لايجار مبنى الحزب

ونجد فى هذه الوثائق أسرارا لم تذع من قبل حول قضية ابراهيم الوردانى الذى اغتال بطرس غالى باشا رئيس وزراء مصر ، وعرفت أسماء جمعية التضامن الاخوى التى دبرت المؤامرة وعرفت حقيقة المؤامرة التى دبرها الانجليز لاجراء عملية جراحية لبطرس غالى بالرغم من نصح بعض الاطباء بعدم اجرائها خشية وفاته اذ كانت الرصاصات التى أطلقها ابراهيم الوردانى غير كافية للاجهاز على حياة بطرس وكان فى الامكان شفاؤه من هذه الرصاصات لولا العملية الجراحية التى أجراها الطبيب الانجليزى المعالج وذلك لاحداث فتنة بين عنصرى الامة اذا ما مات بطرس غالى .. و .. و ..

وبعض هذه الوثائق التاريخية توضح بجلاء دور شباب مصر الذى كان يتعلم فى أوربا وكان يخصص جانبا من وقته ومن ماله ومن جهده للعمل من اجل قضية مصر ، ولم يكن نشاط هؤلاء الطلاب مقصورا على أوربا بل امتد الى القارة الاسيوية والتحم طلاب مصر بطلاب الهند فى كفاح مشترك ضد الاستعمار البريطانى ، وعرفت الدور الخطير الذى كان يقوم به محمد فريد لتنظيم كفاح هؤلاء الطلبة ومدهم بما يحتاجون اليه بل وتدريبهم — كما أكد لى الاستاذ خليل مدكور الذى عمل فترة ما كسكرتير لمحمد فريد فى أوربا وكان هو نفسه واحدا من هؤلاء الطلبة — على استخدام السلاح ، ونعلم لأول مرة قصص الجمعيات التى انشأها هؤلاء الطلبة فى باريس

ولندن وادنبره وبرن وجنيف وبون .. و .. و ..
حتى لقد ازعجت هـذه الجمعيات الاحتلال البريطاني وحتى لقد نجح هؤلاء الطلبة فى اثارة قضية مصر فى البرلمان الفرنسى عن طريق مارسيل كاشان زعيم الحزب الاشتراكى الفرنسى وحتى لقد نجح هؤلاء الطلاب بقيادة محمد فريد - فى الاتفاق مع صحيفة « الديلى هيرالد » على تخصيص بعض أعمدتها كل يوم لنشر انباء عن مصر . ونعرف - لأول مرة - عن طريق المراسلات المتبادلة بين هؤلاء الشبان ومحمد فريد - حقيقة المؤامرات التى دبرها الخديو والانجليز لشراء هؤلاء الطلبة ..

ونعرف من خلال الوثائق - لأول مرة ايضا - العلاقة بين سعد زغلول وبين الحزب الوطنى وكيف أيد الحزب سعدا فى انتخابات الجمعية التشريعية لأنه كان يعادى الخديو والسياسة البريطانية وكيف طالب محمد فريد زملاءه فى مصر بأن يعلن سعد زغلول بنفسه انضمامه للحزب الوطنى .. و .. و ..

وترد الوثائق التى حصلنا عليها على سؤال طالما طرحه كثير من الباحثين حول علاقة محمد فريد بالحركة الاشتراكية فى أوربا ومدى تأثير هذه الحركة فى تفكير محمد فريد وتؤكد هذه الوثائق الصلات التى قامت بين محمد فريد وقادة الحركات الاشتراكية فى أوربا ، كما تؤكد وجود معارضة - داخل الحركة الوطنية - لاشتراك محمد فريد فى مؤتمر السلام . وتؤكد هذه الوثائق أن اتصالا تم بين محمد فريد ولينين حول القضية المصرية اثر نجاح الثورة الاشتراكية فى روسيا وزوال الحكم القيصرى ..

ومن الوثائق التى خلفها محمد فريد - ومن بينها

خطاباته لاخته وابنه عبد الخالق فريد ـ يتبين بجلاء أية حياة قاسية كان يعيشها محمد فريد فى أوربا وخاصة بعد انقطاع المدد الذى كان يرسله اليه أهله فى أوربا خلال الحرب العالمية الاولى وكيف كان الرجل الذى يرفض اكبر المناصب ويرفض مئات الالوف من الجنيهات غير قادر على الحصول على جنيهات تمكنه من السفر الى بلد حار حرصا على صحته وتحقيقا لرغبة أبداها أطباؤه .. بل وكيف كان الرجل الذى سئم حياة القصور بما فيها من خدم وحشم يتمنى أن ترسل له أسرته فى أيام العيد بعضا من كعك العيد ! !

واقول ـ دون مبالغة منى ـ ان هذه الوثائق ـ قد وضعت الكثير من النقط على الحروف فيما يتعلق بتاريخ كثير من الشخصيات وفى مقدمتها شخصية محمد فريد ذاته . ونحن بحاجة ماسة الى دراسة شخصية محمد فريد من جديد باعتبارهذهالشخصية تمثل حلقة هامة من تاريخ كفاحنا . فمحمد فريد ـ فيما أرى وأعتقد ـ من الشخصيات النادرة الفذة التى تشرق بها صفحات التاريخ من جيل الى آخر : ولد محمد فريد ـ كما يولد أبناء الامراء ـ فى فمه ملعقة من ذهب ، عاش كما يعيش أبناء الحكام الكبار ، بين القصور العالية المليئة بالخدم والحشم ، والافكار العتيقة البالية ، لا يعرف ـ وما ينبغى له أن يعرف ـ شيئا ما عن الشعب أملا ، والما !.. وتدرج كما يتدرج أبناء الكبراء والحكام والاقطاعيين الكبار فى الوظائف الصغيرة لتكون تمهيدا لوظيفة كبيرة تبعده عن الشعب وتقربه من طبقة الحكام الكبار . غير أن محمد فريد ـ بعد فترة طويلة

من الدراسة والقـــراءة والتامل اكتشـــف انه يختلف اختـلافا كبيرا عن غيره من أبنــاء الـكبراء والحكام واذا كانت ظروف حيــاته قد أوجدته بعيدا عن الشعب والاحساس بمشــاعر الشـــعب ، الا أن طبيعة تكوينــه الشخصى والنفسى قد قربتـــه تماما من الشعب وآمــال الشعب وآلام الشعب .. وقرر محمـــد فريد ــ فيما بينه وبين نفســه ــ أن يغير ظروفـــه وحيــاته لأن له دورا يختلف تماما عن أدوار أمثاله من أبنــاء الـكبراء والاقطاعيين .

وبدأ الشاب محمد فريد يهتم بالسياحة وزيارة كثير من البلدان الاخرى لا رغبـــة فى الاستمتــاع بالحيـــاة فى هـــذه البـــلدان ولـــكن رغبة فى استطـــلاع طبـــائع أهلهـــا وعاداتهم .. زار الجزائر ، وتونس ، ومراكش، وطرابلس الغرب ، والاندلس ، كمـــا زار النرويج ، وجنوب فرنسا واشترك فى مؤتمر المستشرقين ، ورأى ان واجبـــه تجاه الشعب الذى بدأ يحبه أن يطلعه على حصـيلة ما رآه فى هـــذه البلدان فكتب مشــاهداته فى كتيبات وزعها بالمجان ..

ورأى محمد فريد ان كل رجـــل يريد ان يخصص حيـــاته للعمـــل العـــام يجب أن يعتمـــد على الدراسة والقراءة .. فبـــدأ يغرق نفسه فى تلال من الـــكتب التى تهتم أيضـــا بتـــاريخ الشـــعوب وعاداتها .. ثم بدأ يدمن قراءة الصحف العربية والفرنسية حتى يكون على بينـــة من الاحداث العـــالمية التى يمر بها العالم.. ورأى بعـــد فترة من الزمن أن حصـــيلته فى القراءة والمشــاهدة قد بلغت مرحلة تؤهله لـــكتابة المقـــالات ، فبـــدأ يكتب فى صحيفة الآداب التى يصـــدرها الشيخ

على يوسف صاحب « المؤيد » .. ثم اشترك فى اصدار صحيفة « الموسوعات » (١٥ نوفمبر عام ١٨٩٨) .. وبدأ يزاول هوايته فى الكتابة الجادة .. كتب عن الانجليز فى غرب افريقية ، وكتب عن : ضياع استقلال هاواى ، وانجلترا فى الترنسفال ، وحرب الترنسفال والروسيا فى آسيا والروسيا فى مملكة كوريا ، والقسم المصرى بمعرض باريس.. و .. و .. وكانت كتاباته ـ كل كتاباته ـ تبشر بمستقبل زاهر فى عالم الكتابة ..

وبدأ محمد فريد يزاول مهمة جديدة هى مهمة «جبرتى مصر » فراح منذ عام ١٨٩١ يكتب « يوميات مصر » يتناول فيها كل ما يمر بالبلاد من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية .. ولم تكن هذه اليوميات لتخلو من آرائه السياسية والاقتصادية ، وآرائه فى الاحداث وفى الناس ، وتعتبر هذه اليوميات ـ كما سبق أن قلنا ـ وثيقة تاريخية هامة . فقد كان محمد فريد ـ فى تلك الفترة ـ منذ عام ١٨٩١ الى عام ١٨٩٧ ـ قريبا من مركز السلطة يلتقى كل يوم بالوزراء والكبراء ، ورجال القضاء بحيث كانت كتاباته ـ عن هذه الفترة ـ تمثل وجهة نظر صادقة فيما يتعلق بهذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر . وربما كانت هذه اليوميات وحدها ـ موضع دراسة تاريخية مفصلة فى المستقبل نرجو أن نتمكن من القيام بها .

ثم رأى محمد فريد وكيل النائب العام ، أن موظف الحكومة لا يمكن ابدا أن يكون كالماء بلا لون ولا طعم ولا رائحة وان الستار الحديدى المفروض حول كل موظف حتى لا يفكر فيما حوله ، ستار ظالم يجب على كل من

يحترم نفسه ان يحطمه .. ورأى محمد فريد ان الموظف ــ مهما تكن قيود الوظيفة ــ لايمكن أن يعيش بمعزل عن الاحداث التى تجرى حوله .. وخرج محمد فريد على الحدود المرسومة للموظفين وقضى على الستار الحديدى المفروض حوله وبدأ يباشر ــ كانسان وكمواطن ــ مهمته..

وتضايقت الحكومة والاستعمار من ذلك الذى فعله محمد فريد ورأت الحكومة كما رأت القوة الاستعمارية التى تسيطر عليها ، ان ما فعله الشباب القوى محمد فريد خطر على كيان الوظيفة الحكومية فنقلته خارج القاهرة وكان نقله هذا بمثابة عقوبة لأنه أبدى حقيقة مشاعره تجاه قضية الشيخ على يوسف تلك القضية التى أراد الاحتلال من ورائها ارهاب الصحافة الوطنية .. ولقن محمد فريد الاستعمار درسا قاسيا .. لقد استقال من وظيفة وكيل النائب العام ، وكانت هذه الوظيفة من أخطر الوظائف وقتئذ ولم يكن متصورا أبدا أن محمد فريد يمكن أن يجازف بمستقبله ويستقيل من هذه الوظيفة ..

كانت المحاماة كمهنة لم تنظم بعد .. كل من يجد لديه القدرة على الخطابة يستطيع أن يكون محاميا حتى ولو لم يكن يحمل اية شهادة ، وكانت المحاماة قد ورثت عن العهود السابقة تركة مثقلة ، اذ عمل بها كثير من النصابين والافاكين الذين أساءوا الى هذه المهنة اساءة بالغة .. غير أن محمد فريد قرر أن يعمل بالمحاماة ، فوجود بعض العناصر السيئة فى مهنة من المهن ليس مبررا لعدم اقتحام العناصر الطيبة أسوار هذه المهنة .. وكان اشتغال محمد فريد بالمحاماة فى ذلك الوقت يعتبر تضحية من أهم التضحيات ، بل

كان ذلك العمل من محمد فريد يعتبر فى حد ذاته ثورة على التقاليد .. وظل محمد فريد يعمل بالمحاماة طوال سبع سنوات وكان كمن يشق الصخر .. يرفض دائما أن يترافع فى قضية الا اذا كان الحق فى جانب من يترافع عنه ولو كانت أتعابه فى هذه القضية ألوف الجنيهات .. بل كان يرفض الدفاع فى اية قضية ـ كما حدث فى قضية شيكات خاصة بواحدة من الاميرات ـ طالما كان يعلم هو ـ ولو كان هو وحده الذى يعلم ـ ان أساس هذه القضية باطل أو غير سليم ! .. ويسبب له هذا المنهج الفريد فى المحاماة ضيقا وتعبا فآثر التضحية بالمحاماة فى عام ١٩٠٤ ،

« فالمحامى لا يشكر اذا نجح ، ويلام اذا خانه حظه فى القضية » .. ثم هو باعتزاله المحاماة أراد كما قال ، أن يخصص من وقته القدر الكافى لخدمة بلاده وابناء وطنه خدمة أعم وانفع .. ورأى محمد فريد أن واجبه الوطنى يفرض عليه التفرغ لخدمة القضية الوطنية فعمل مع مصطفى كامل ورفاقه فى بعث الحركة الوطنية . ولم يكن محمد فريد ـ وهو الذى يضحى بجهده وماله من أجل نجاح الحركة الوطنية ـ يريد أن تتسلط حوله الاضواء ، بل كان دائما يعمل فى صمت ويضحى دائما فى صمت ويؤدى ما هو مطلوب منه فى صمت..

والرسائل التى ارسلها مصطفى كامل الى محمد فريد توضح بجلاء دور محمد فريد فى ارساء الاسس السليمة للحركة الوطنية المصرية التى قامت مع مطلع هذا القرن ..

لقد قنع محمد فريد بدور الرجل الثانى فى الحركة الوطنية أثناء حياة مصطفى كامل .. كان مؤمنا بأن

مصطفى كامل رجل تاريخ يؤدى دورا هاما فى خدمة بلده وهذا الدور مرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف المحيطة به ·· وليس معنى الايمـــان بمصطفى كامل والايمان بزعامته أن يغدو مصطفى بعيدا عن النقد ·· المهم أن يكون النقد بناء وأن يكون بعيدا عن الاضرار بكيان الحركة الوطنية ·· وفى مذكرات محمد فريد بعض النقد الذى وجهه الى مصطفى كامل .. ولكن هذا النقد ــ كما جاء فى المذكرات ــ لم يعرفه الخاصة أو العامة لأن مرحلة الـكفاح الوطنى كانت تتطلب السير خلف قيـــادة مصطفى كامل مهما وجه الى هذه القيادة من نقد ..

والقيت اعبـــاء القيـــادة على محمد فريد بعد وفاة مصطفى كامل . وكانت كل الآراء أو غالبيتهـــا تؤكد أن الحركة الوطنية ستنتهى بنهاية الزعامة الشـــابة الموهوبة ــ زعامة مصـــطفى كامل ــ وكانت مؤامرات الخديو ومؤامرات الانجليز قد بلغت ذروة النشاط عقب وفاة مصطفى كامل .. ولم يكن محمد فريد خطيـــبا مفوها كمصطفى كامل ولم يكن محمد فريد لابتعاده عن الاضـــواء فى حيـــاة مصطفى كامل قد نال من الشهرة فى الداخل والخارج ما نال مصطفى كامل أو بعض ما ناله·

ومضت الايام فاذا بقيادة محمد فريد تصبح أكثر قوة وحزما ووضوحا من قيادة مصطفى كامل .. واذا بالحركة الوطنية تزداد انتشارا ونفوذا ورسوخا فى أيام محمد فريد عنها فى أيام مصطفى كامل .. واذا محمد فريد يقطع نهائيا كل صلة للحركة الوطنيـــة بالخديو ويتجه بكل قوته وايمانه ونشـــاطه وحيويتـــه وثقته الى الشعب ينظم جهوده ونشاطه وقوته تحت راية الحزب الوطنى .. وتبـــدأ الحـــركة النقابية فى الانتشـــار والازدهار .

وتؤدى مدارس الشعب دورها الهام فى خدمة الشعب ..
ويصبح ـ بعد عام واحد ـ الشعب كله .. طـــلابه
وعمـاله وموظفوه ومثقفوه فى المدينـة والقرية .. كلهم
يعملون فى اطـار العمـل الموحـد .. ويصـبح هـذا
النجاح الذى لم يكن ينتظره احد ـ أعقد مشكلة تواجه
الخديو والاستعمار البريطـانى .. ويجرب الخـديو
والاســتعمار كل الوســائل مع القيادة الجديدة دون
جدوى .. ولمـا لم تجد وســائل الترغيب ولا وسائل
الوعيـد القى الاسـتعمار محمد فريد فى السجن على
أمل أن يغير السـجن من موقف محمـد فريد ومن
صـلابته .. وظل محمد فريد فى السجن ستة اشهر
يرفض كل مرض قدم اليه للمهـادنة .. وخرج من
السجن أقوى مما دخله ايمانا واصرارا وعنفا ..

وكان محمد فريد منذ القيت اليه مقاليـد الزعامة
والحركة الوطنيـة قد بلور أهـداف هـذه الحركة فى
هدفين رئيسـيين هما : الجـــلاء ، والدســتور ..
فبدون الجلاء والدستور يصبح اى اصـلاح حكومى
لا جـــدوى منه .. وعندما رغب اليه بعض النـواب
البريطانيين ممن يتظـاهرون بالعطف على القضيـة
المصرية فى ان يتنـازل عن طلب الجـلاء رفض مطلبهم ..
وعنـدما لامه بعض المصريين ممن يؤمنون بانصـاف
الحلول متهمين اياه بالعنف اكد لهم بما لا يدع مجالا
لاى شك ان عدم مطالبتهم بجلاء القوات البريطانيـة
عن مصر خيـانة للوطن .. وكان محمد فريد يؤمن ان
التعـاون مع المحتلين جريمة لا تغتفر .. ولهذا فقـد
رفض الحكم اكثر من مرة وعاب على أولئـك الذين
قبلوا الحكم فى ظل الاحتـلال البريطـانى ورفض حتى

مجرد التعاون معهم ..

وكان محمد فريد بعيد النظر فى كل المسائل السياسية .. فعندما أراد الاحتلال البريطانى ــ ومن ورائه الحكومة المصرية ــ مد امتياز شركة قناة السويس اربعين عاما جديدة مقابل اربعة ملايين من الجنيهات قاد محمد فريد حملة قوية ضد هذا المشروع .. بل راح ــ وكان هذا غريبا فى زمنه ــ « يطالب بعودة ملكية القناة الى الشعب وذلك باسترداد امتياز القناة من الان (عام ١٩١٠) فى مقابل تعويض مالى يدفع للشركة مرة واحدة أو مقابل جزء من الارباح كما فعلت الدول التى استردت امتياز سككها الحديدية »

ومحمد فريد هو اول من وجه القضية المصرية الوطنية وجهة سليمة فربط بين القضية المصرية وبين قضية السلام العالمى .. ونادى بحياد مصر « ونحن لا نجهر بهذا النداء اعتمادا على المبادىء الحرة فحسب ولكننا نعتمد من جهة أخرى على مصلحة السلام العام ، وبقاء تجارة العالم وضمان النقل فى قناة السويس .. فان هذه أمور تتطلب حرية مصر واستقلال وادى النيل » ..

ومحمد فريد عندما نادى بالحكم الدستورى اشترط أن تضع أحكامه جمعية منتخبة من الامة . وكثير من آراء محمد فريد وافكاره التى نادى بها منذ ما يقرب من نصف قرن تعتبر اليوم من الآراء التقدمية التى تدل على ما كان يتمتع به محمد فريد من تفكير سياسى ناضج متحرر ..

لقد كان محمد فريد ــ اخيرا وليس آخرا ــ أحد

أبناء مصر الذين قادوا الكفاح الوطني في أصعب أيامه وأحلكها ، قاده بصبر وجلد وكفاءة وايمان وتضحية فذة واخلاص لا مثيل له واذا كان حظ مصر السيء قد حرمها من قيادته الفعلية بعد أن غادر مصر عندما وضعت الحكومة المصرية ومن ورائها الاحتلال خطة للالقاء به في السجن كلما خرج منه . وهذا ما ناخذه عليه ، فمكان المناضل في رأينا مهما تكن ظروف المعركة شاقة ومريرة في أرض المعركة افضل ألف مرة من نضاله خارجها .. اقول اذا كان حظ مصر التعس قد حرم مصر - في فترة حرجة من مراحل تطورها - من قيادة محمد فريد في الداخل - فقد ظل الرجل - خارج مصر - نجما وطنيا ساطعا تلتقي حوله ارادة الالوف من شبابنا وشيوخنا في الخارج ، كما كان منارة عالمية ترفع اسم مصر في كل مؤتمر عالمي وكل منتدى دولي .. ان شعبنا وهو يجتاز هذه المرحلة الشاقة من مراحل كفاحه ونضاله في أمس الحاجة الى دراسة تاريخ محمد فريد من جديد بحاجة الى دراسة تاريخ الزعيم الذي انفق ماله وشبابه ، بل وحياته في سبيل قضية الحرية .. ان محمدفريد كان مكافحا من طراز فريد ، لم يقف في منتصف الطريق ، لم تستهوه المنافع الشخصية ولا الاغراض الذاتية ولم يقعده الجوع والمرض والنفي عن التضحية في سبيل بلده بأعز ما يملك ..

واذا كان هذا البحث يصدر في مناسبة مرور خمسين عاما على وفاة محمد فريد (١٥ نوفمبر ١٩١٩ - ١٥ نوفمبر سنة ١٩٦٩) فاننا نرجو أن تتلوه أبحاث أخرى جديدة تلقى الاضواء على كثير من شخصياتنا التاريخية

التى لعبت ـ فى تاريخنا المعاصر ـ أدوارا هامة ولم تنل حقها من البحث والدراسة

ولا بد من كلمة طيبة نوجهها لذلك الابن البار بأبيه الذى حرم من رؤيته وهو طفل ، والذى ظل وفيا لوالده وتراثه ، وللقضية التى دافع عنها .. كلمة شكر نوجهها للمستشار عبد الخالق فريد الذى حفظ لنا ـ رغم الكثير من المصاعب والمغريات ـ ذلك التراث التاريخى الذى سيبقى الى فترة طويلة ضوءا كشافا ينير الطريق أمام المؤرخين الباحثين عن الحقيقة

والله ولى التوفيق ..

القاهرة فى يوليه ١٩٦٩

صبرى أبو المجد

بداية حياة

« ان اصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تكد تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل ومن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب » .

((الميثاق))

تعتبر الايام التى نشأ فيها محمد فريد وقضى فيها طفولته وصباه من أقسى الايام التى مرت بمصر فقد استهدف الاحتلال البريطانى القضاء على كل امكانيات لشعب ، بل القضاء على كل معنويات الشعب كمقدمة لقضاء على روح الشعب ولكى نوضح كل مايتعلق بالبيئة التى نشأ فيها محمد فريد نقول ان :

ـ الجد الاعلى لمحمد فريد ـ عثمان أفندى ـ جاء الى مصر عقب الغزو العثماني أيام سليم الاول ، وكانت وظيفته كتابة العملة وكانت هذه الوظيفة من أرفع وظائف الدولة ، أما أحمد فريد ـ والد محمد فريد ـ فمن مواليد مصر عام ١٨٣٦ ، وقد تعلم بمدارس الحكومة وأنهى دراسته فى المدرسة الحربية وكانت أول وظيفة تولاها هى ناظر قلم التحريرات بمصلحة السكك الحديدية براتب قدره خمسة وعشرون جنيها وقد ظل يتدرج من وظيفة الى أخرى الى ان أصبح

وكيل عموم مصلحة السكك الحديدية .. فلما آلت هذه المصلحة الى الادارة الانجليزية فى أواخر أيام اسماعيل وعين الجنرال ماريوت الانجليزى مديرا عاما للمصلحة استغنى عن خدمات أحمد فريد ، وفيما بعد عين أحمد فريد عضوا بمجلس الاحكام ، فمديرا للشرقية فمحافظا لدمياط فمديرا للقليوبية فالشرقية مرة أخرى وأصبح فى عام ١٨٨٦ ناظرا للدائرة السنية ـ وتبلغ مساحة الدائرة السنية والدومين مليون فدان ، أى نحو خمس أراضى مصر المنزرعة .. وكانت مثقلة بالديون التى وصلت فيما يتعلق بالدائرة السنية وحـــدها الى ٨ر٨١٥ر٤٣٥ جنيها انجليزيا ، أى ما يعادل ميزانية الحكومة المصرية وقتئذ فى عام كامل ـ وكان راتبه كناظر للدائرة السنية ١٢٥ جنيها .. وقد استغنى عن خدماته لأنه عارض بيع أملاك الدائرة الســــــنية الى شركة أجنبيـــة ..

واذا كان والد محمد فريد من أسرة قدمت من تركيا منذ مئات السنين فقد كانت والدته من أسرة مصرية عربية صميمة تتصل بالنسب الى الحسين بن على ، رضى الله عنهما . وكان والدها عميد التجار المستوردين للبهار ، ولا شك ان الموظف الحكومى النزيه المخلص ، الذى دخل السلك الحكومى من أول السلم والأم العربية المحافظة ، كريمة ابراهيم أفندى قاضى البهار ، قد أثرا تأثيرا كبيرا فى تكوين شخصية محمد فريد ، كما أثرت فيه ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية التى لازمته فى بداية حياته .. لقد ولد عام ١٨٦٨ فشهدت طفولته أحداث الثورة العرابية الاولى كما استطاع ان يشهد وهو فى الرابعة عشرة النكبة التى حلت بالبلاد اثر هزيمة الثورة فى ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٢ ، فرأى بعينى

راسه طوابير القوات البريطانية وهى تجتاز شوارع العاصمة ، كما رأى المناظر المخزية التى تجلت فى الهدايا التى قدمها خديو مصر ـ توفيق باشا ـ وكبراء البلاد الى كبار الضباط البريطانيين شاكرين لهم « احتلال بلادهم » وقد سمع من والده ، ومن كبار الضيوف الذين يزورونه الكثير عن المآسى التى حدثت فى مجالس التحقيق حيث تنكر للثورة العرابية ، أولئك الذين أيدوها ـ حتى ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٢ ـ تأييدا مطلقا

وتعلم محمد فريد كما تعلم والده من قبل فى مدارس الحكومة ، وعندما نال فى التاسعة عشرة من عمره شهادة مدرسة الادارة فى عام ١٨٨٧ كانت أحوال البلاد قد زادت سوءا بسبب الاحتلال البريطاني الذى بذل كل الجهود لتحويل مصر الى مستعمرة بريطانية ، ومع ذلك وطبقا لتأثير البيئة سلك محمد فريد نفس الطريق الذى سلكه والده من قبله ، طريق الوظيفة الحكومية ، وكما بدأ والده من أول السلم ، بدأ هو الآخر ، لقد عين فى ٢١ مايو عام ١٨٨٧ فى وظيفة مترجم بقلم قضايا الدائرة السنية بمرتب قدره عشرة جنيهات شهرية ، وفى يونيو عام ١٨٨٨ تزوج محمد فريد ، وكانت أفراح زفافه من الافراح التى لم تر مصر مثيلا لها الا أفراح أنجال الخديو ...

وظل محمد فريد يتدرج فى الوظائف الحكومية كما تدرج والده من قبل ـ فى هدوء وبطء ... فمن مترجم الى وكيل قلم ، الى رئيس قلم ، الى أن عين فى عام ١٨٩١ فى وظيفة مساعد نيابة بمرتب قدره ستة عشر جنيها ، وفى السلك القضائى تدرج الى أن أصبح وكيلا لنيابة الاستئناف ...

ولم يشأ محمد فريد أن يسير فى الخط الذى سار فيه رفاقه وزملاؤه ـ خط الموظف الحكومى الذى رسمه الاحتلال البريطانى ـ بل آثر ان يشذ عن هذا الخط فبدأ يدرس ، ويقرأ ، ويترجم ، ويكتب فى مجلة « الآداب » التى كان يصدرها فى عام ١٨٨٧ وعام ١٨٨٨ الشيخ على يوسف ، الذى اصدر « المؤيد » فيما بعد ، ولم يكن محمد فريد يوقع مقالاته باسمه الصريح بل بالحرفين الاولين من اسمه « م . ف » لا خوفا من بطش قوات الاحتلال التى كانت تعتبر كل من يكتب فى الصحف الوطنية عدوا يجب محاربته ، بل خشية أن يغضب منه والده الذى كان يخشى بدوره على ابنه من بطش قوات الاحتلال ...

ولم يكتف محمد فريد بالكتابة فى الصحف الوطنية بل قام برحلات عديدة ـ كعضو فى الجمعية الجغرافية . الى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والاندلس ، وكان يكتب عن هذه الرحلات كتبا يوزعها بالمجان تعميما للفائدة ، وقد أصدر فى هذه الفترة كتابا عن تاريخ الرومان ، وكتابا عن تاريخ الدولة العثمانية ، وفى عام ١٨٩٦ استقال من القضاء ليشتغل بالمحاماة ، وكان هو أول من اشتغل في هذه المهنة من أبناء الكبراء

يقول الاستاذ احمد لطفى السيد فى قصة حياته :

ـ كنت مع الشيخ محمد عبده فى جنيف ، وذهبنا لزيارة محمد ثابت باشا الذى كان « مهردارا » للخديو اسماعيل ـ اى حامل اختام الخديو ـ وهو يساوى رئيس الديوان ـ وكان معه أثناء الزيارة احمد فريد باشا ـ والد محمد فريد ـ وكان احمد فريد باشا ناظرا للدائرة السنية ومن كبراء مصر

المعدودين ، فلما استقر بنا المقام ، اخذ فريد باشا يشكو ابنه الى الشيخ محمد عبده ويبكى ، وكان وقتئذ مريضا ، ويقول للشيخ : « هل يصح ياسيدى الاستاذ أن يهزئنى محمد فريد فى آخر الزمن ويفتح مكتب أفوكاتو « محام » ؟ ..

فلما سمع الشيخ محمد عبده شكوى احمد فريد باشا لاشتغال ابنه بالمحاماة ، أخذ يهدىء من نفسه ويعرب له انه يخالفه فى رأيه ، ويرى ان الاشتغال بالمحاماة ليس فيه ما يجرح الكرامة وما يخل بالشرف على نحو ما يظن الناس ، وما كان مالوفا فى فهمهم لهذه المهنة فى ذلك الزمان ...

ويمكننا القول ــ دون مبالغة ــ وبالنظر الى مقاييس الامور فى الاعوام التى أعقبت الاحتلال الانجليزى ان استقالة محمد فريد من وظيفته الحكومية المرموقة واشتغاله بالمحاماة ، وهى التى لم تكن قد نظمت بعد اذ كان فى استطاعة اى شخص ما اذا آنس فى لسانه الطلاقة أو « السلاطة » أن يشتغل بالمحاماة ، التى كانت وقتئذ مليئة بالعناصر الفاسدة ، ان استقالة محمد فريد كانت ثورة على الاحتلال ممثلا فى الحكومة التى رمى محمد فريد استقالته فى وجهها ، وكانت ثورة على التقاليد التى كانت ممثلة فى والده ، الذى كان يبكى ــ كما يقول الاستاذ لطفى السيد ــ لان ابنه عمل فى المحاماة !

ونحن على ضوء الظروف التي كانت تكتنف البلاد وقتئذ ــ فى مجال تقييم العمل الذى أقدم عليه محمد فريد ــ نقول ان استقالة محمد فريد واشتغاله بالمحاماة يعتبر عملا ثوريا بناء لم يستهدف صاحبه من ورائه سوى اعطاء مثل عال للموظفين ــ كبارا وصغارا ــ

هؤلاء الموظفين الذين تعودوا أن يلعقوا كل يوم ، وكل ساعة أحذية المستشارين البريطانيين ، واعطاء مثل آخر مشرق للشباب وقد ران اليأس والقنوط والاذعان على قلوبهم ، فظنوا ان الاحتلال باق ، وان الثورة عليه عمل لا يمكن تصوره ...

ولعل خير وصف لذلك العمل الذى أقدم عليه محمد فريد هو الخطاب الذى ارسله اليه الاستاذ محمود أبوالنصر - أحد أقطاب المحاماة فى مصر فى ذلك الحين - والذى يصور تقدير الناس للموقف المشرف الذى وقفه محمد فريد ... قال أبو النصر فى خطابه الذى كتبه من باريس فى ٢ ديسمبر عام ١٨٩٦ :

- هاج بالى واضطرب خاطرى ، اذ علمت بما قابلك به الاحتلال جزاء اخلاصك للوطن وتظاهرك بنصرة الحق دون أن تخشى لومة لائم ولا سطوة حاكم ، غير انى ما لبثت الا ريثما رايت الامر طبيعيا واذعنت بأن لا وجه للتهييج ولا معنى للعجب... اليسوا باضطهادهم لمثلك عاملين بما تقضى به عليهم خدمة قومهم وبلادهم التى يفتدونها بالنفس والنفيس ... بل وما الذى كنت تنتظر غير ما قوبلت به وقد عرف الخاص والعام شرف احساسك ونبل قصدك واخلاصك ... وشهد القريب والبعيد بفضلك وشمم نفسك حتى انزلك منزلة تغبط عليها من بين أبناء الوطن عامة وأبناء الذوات خاصة ، وحياتك انه لاقل مما كنت أنتظره لك من يوم رأيتك وعرفتك ..

اللهم ان كانت سعادة الحياة فى مثل ذلك الراتب الذى كنت تأخذه على شرط اماتة عاطفة شريفة فلا كانت الحياة ... اللهم ان كنت تربيت ونشأت فى مهد

الـكمالات الانسـانية لمثل تلك الخدمة فلا كانت التربية ... اللهم ان كان كبر عليك اضطهادهم وشـــق عليك بغيهم فانك لست عندنا بفريد ، ان كانت هذه الحياة منحصرة في ســـعة الرزق ، فمن الذى مات جوعا ؟ .. والحمد لله لست الى هذا الحد . وان كانت منحصرة في رفعة المنزلة ، فهو مطلب قد بلغته من منزلتك الاولى ، ومثلى من المحبين الصادقين كثير فاصبر ودم كما كنت فريدا »

وقد علقت صحيفة «المؤيد» -١٧ يوليو عام ١٨٩٧- على اشتغال محمد فريد بالمحاماة بقولها :

- قد اتخذ حضرة العالم القانونى محمد بك فريد المحامى امام محكمة الآستئناف والمحاكم الاهلية محلا لاشـــغال المحاماة فى ملك المرحوم ثاقب باشـــا امام الاجزخانة الطليانية بشــــارع محمد على وما نعهده فى كفاءة حضرة الفاضل وسعة علمه وقوة حجته سيكون خير كفيل لنجاحه فى مهنتـــه الجديدة فيخدم بذلك وطنه ويخدم الحقوق الشخصية والعمومية أجل خدمة ويكون لحضرات الفضلاء من أبناء كبراء مصر منه خير مودة وأشرف مثال » ...

والجدير بالذكر أن محمد فريد قد اعتزل العمـــل بالمحاماة فى ٨ مايو عام ١٩٠٥ وكتب فى « اللواء » مبررا تركه المحاماة بقوله :

« تركت الاشـــتغال بمهنة المحاماة لاتفرغ لاشـــغالى الخاصة بدل ان أهملتها واشتغلت بمهام الغير فلا أرى غالبا الا نكران الجميل أو عدم الاعتـــراف بما يتحمله المحامى من المشاق فلا يشكر اذا نجح ، ويلام اذا خانه حظه فى القضيـــة ... واردت أن أخصص من وقتى المقدار الكافى لخدمة بلادى وأبناء وطنى خدمة أعم وانفع »

سبع سنوات عجاف

في المذكرات ، أو اليوميات ، التي خلفهـــا محمد فريد ، تصوير صادق وصريح للأحداث التي وقعت في الفترة ما بين عامي ١٨٩١ ، ١٨٩٧ ....

واذا كان محمد فريد عنـدما بدأ في كتابة هــذه المذكرات أو اليوميــات لم يكن قــد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، واذا كان محمـــد فريد نتيجة للحياة الارستقراطية التي كان يحيــاها لم يكن وعيه السياسي قد نضج تماما ، الا أن ســمات الصـدق والصراحة قد تجلت واضـحة في هــذه المذكرات أو اليوميات من السطر الاول الى السطر الاخير ...

وكان محمـــد فريد ، والمذكرات أو اليوميـــات لم تطبع ، ولم يرها أحد غيره ، قــادرا على محـــو ما جاء بمذكراته من آراء استهجنها فيما بعد غير أنه آثر الابقاء عليها لتكون صورة صادقة للرأي العام ، بصورة عامة ولرأيه هو في هذه الفترة بالذات ، بصورة خاصة ...

وكلمة أخرى لا بد من الاشــارة اليها قبل أن ندخل في المذكرات أو اليوميات ، وهي أنني آثرت ان ارفع بعض الاسماء في بعض الحالات التي بالغ محمد فريد في القسوة على أصحابها ، لا رعاية لهذه الشخصيات وانما رعاية لأولادهم ، وأحفــادهم ، وذلك فقط في

الحالات التى كان محمد فريد ينتقـــد أصحابها فيما يتعلق بسلوكهم الشخصى ، كما اننىعمدت الى الاقتصار فيما نقلته من هذه اليوميات على بعض الاحداث مع الابقاء على لغة المذكرات دون تبديل أو تغيير (١)

قال محمد فريد فى مذكراته عن عام ١٨٩١ :

ـ ابتدأ هذا العام وخديو مصر محمد توفيق الاول ، ووزيره الاول مصطفى رياض باشا ، وهو أيضـا ناظر الداخلية ، والمـالية ، ومصطفى فهمى باشـا ناظر الحربية ، لـكنه ناظر اسما ...

أما الاشغال فكانت بيد السردار السير جرانفيل باشا الانجليزى ، وهو بمثابة قائد عام للجيوش المصرية ، وانما أبقى النـاظر وطنيا مراعاة للظواهر ، ليس الا ، وكذلك فى نظارة الاشـغال العموميـة ، فان ناظرها الاسمى محمد زكى باشا ، الذى لا يعرف من الهندسة ولا اسمها شيئا ، فان أشغالَ تلكَ النظارة فى قبضـة وكيلها الانجليزى السير اسكوت منكريف ومن أتى معه من بلاد الهند من مهنـدسى الرى ... أما نظـارة الخارجية فناظرها ذو الفقار باشا ، وهو رومى الاصل وكيله تجران باشا الارمنى ولا اهمية لهذه النظارة لان المخابرات الخارجية تجرى راسـا بين رئيس مجلس النظار ووزير انجلترا ، ونظارة الخارجية لبريطانيـا التى نحن تابعون لها فعلا ان لم يكن رسميا ...

وناظر المعارف العالم الشهير على مبارك باشا الوطنى الاصل والنزعة ولم يكن للانجليز يد فى نظـارته حتى العام الماضى ، حيث تعين فيهـا مفتش انجليزى عام

(١) حرصنا على الاحتفاظ بالنص كما هو رغبـة منـا فى اعطـاء نموذج للغـة العصر الى جانب الاحتفاظ باهمية النص التاريخى

لا يبعد أن يعين وكيلا لها ، وبذلك ابتـــدات اللغـــة الانجليزية فى الانتشار فى المدارس الاميرية ، لكن لا يهمنا أن يتعلم الاولاد اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، فكلتاهما أجنبيتين ... والمهم بالنسبة الينا هو انتشار المعرفة بين الشـــبان فيعرفون حقوقهم بواسطة الجرائد حيث يطلعون على الاحوال الحاضرة فيكون بذلك رأى عام تخشــــــاه الحكومة ...

اما نظارة الحقانية فناظرها فخرى باشـــا وهو من الشبان المصريين الذين تربوا فى أوربا ودرسوا فيها علم الحقوق ، ولـــكن لم تسلم نظارته من التدخل الانجليزى بل عينوا له مستشـارا يدعى المستر ســكوت ليدرس أحوال القطر المصرى ، ويرى ما يناســـبه من النظم الحقوقية كان لم يكن فى البـــلاد من يعرف احتياجاتها لكن لا يسع الحكومة الا الاذعان لطلبات الانجليـــز الذين يسعون دائما فى نسبة كل اصلاح لهم ، كى يستميلوا الاهالى اليهم ويحببونهم فيهم ، مع ان ذلك بعيـــد جدا ، لاسيما والوحدة الجنسية آخذة فى النمو بين الافراد وكذلك الشــــعائر الوطنية فى ازدياد يوما بعد يوم ، حتى لم يعد المصرى يأنف من كونه مصريا وينتحل له جنسية أخرى ، كأن يدعى انه تركى مثلا ... وعلى أى حال فلو كان الاصلاح حاصلا من انجليزى أو فرنسى أو غيره ، فنتيجته عائدة على الوطن المصرى ، حتى اذا نشأ جيل جديد ونسيت المظالم ، وتربت روح الحرية فى العرق كمـــا هو مشـــاهد الآن كان من وراء ذلك مطالبة الامة بحقوقها بالطرق القانونيـــة وربما بذلك حصلت على استقلالها السياسى فى زمن ليس ببعيد...

والحالة المـــالية آخذة فى التقـــدم ، لاسيما تلقـــاء

ما تقدم من أداء فوائد الديون التى تركها على عاتقنا سيء الذكر ، وخامل الاسم اسماعيل باشا الخديو السابق وصرفها فى انواع الاسراف والنزهة ، وارتكاب المحرمات بكل أنواعها ، حتى كان يعطى « المومسة » ما يزيد عن أربعين الف جنيه ، وبذلك انتشر الفسق بين الطبقات العليا ، من ذوات البلد حتى صارت «الدياثة» من أكبر وسائل التقرب من جنابه ... فلله در من بيدهم أمورنا المالية ان قاموا بالوفاء بفوائد تلك الديون وتنظيم الادارة وتأسيس المدارس ، والغاء العوائد التى كانت من أكبر الضرائب ، والمصائب على الفلاح ، وترك كثير من العوائد والمكوس «كالفرود» (١) وعوائد القبانة ، وتخفيض أجور التليفونات ٥٠ ٪ ، وجعل اجر الكلمة عشرة فضة صاغ ، وتنزيل رسوم البوستة الى عشرين فضة عن الخطاب داخل القطر ، والى ثلاثة مليمات عن تذاكر البوستة ، وهاك بيان ما رفع عن عاتق الاهالى من الضرائب فى هذا العام والعام الماضى نقلا عما جاء فى المذكرة المرفوعة من اللجنة المالية الى رئاسة مجلس النظار ملحقة بالجريدة الرسمية الصادرة فى ٢٩ ديسمبر عام ١٨٩٠ : « يكون ما صار دفعه عن عام ١٨٩٠ ما قيمته ٥٣٠٠٠ جنيه مصرى ، وبيانه الغاء عوائد الاغنام والماعز أربعين الف جنيه ، والغاء عوائد الدخل عن الزيوت والبذرة الزيتية ، ثلاثة آلاف جنيه ، وتخفيض أجورالتليفونات تسعة آلاف جنيه ، وتخفيض أجور تذاكر البوستة ألف جنيه ، ومجموع الايرادات والتقديرات عن عام ١٨٩١ تسعة ملايين وثمانمائة وعشرين الف جنيه ،

(١) جمع « فردة » ـ اصطلاح عامى ـ معناها يؤخذ على كل فرد وهو معنى دارج « المؤلف »

والمصروفات تسعة ملايين وثلاثمائة وعشرين الف جنيه اى ان زيادة الايرادات عن المصروفات تبلغ نصف مليون جنيه ، منها ثلاثمائة واثنا عشر الف جنيه عن الوفر الحاصل من تنزيل فائدة الدين الممتاز — من ٥ ٪ الى ٣ ٪ — ودين الدائرة السنية من خمسة الى اربعة فى المائة ، والباقى من الاقتصاد فى المصروفات ومن الاصلاحات التى عملت فى بدء هذا العام زيادة ثمانية آلاف وخمسمائة جنيه فى نظارة المعارف عدا الفين من الجنيهات للكتاتيب ، والف وخمسمائة من الجنيهات لتعليم المدرسين اللازمين لهذه المدارس

اما ما وجدته ظلما على الاهالى فى هذه الميزانية فهو ما تدفعه الحكومة فائدة لأسهم قناة السويس البالغ قدرها ١٧٧٦٤٣ من الجنيهات التى باعها اسماعيل باشا الى الحكومة الانجليزية بعد أن باع فائدتها مقدما لمدة آخرها عام ١٨٩٤ ، وهو مبلغ ١٩٥ الف من الجنيهات ، وهذا ايضا من آثار اسماعيل باشا التى تخلد له فى قلوب المصريين من الكراهية ، ما لا يمحوه الدهر ومرور الزمان ، وكذلك ما يدفع للخديو وعائلته ، وهو مبلغ ٢٦٨ الفا من الجنيهات وكسور ، نعم ان هذا المبلغ كثير فى حد ذاته الا انه قليل فى جانب ما كان يأخذه والده الذى كان يصرف مال الدولة سنويا فيما لا خير فيه ، ويستدين ما قيمته عشر مرات ، ولم يوجد التحسين المالى الا منذ تولى ادارتها اكفأ الرجال ، خاصة لما تولى زمامها الرجل الوطنى رياض باشا ، لكن بعضهم ينسب ذلك التحسن الى من كان يشرف على النظارة من الانجليز

لكن ذلك التحسين لم يظهر ولم توجد الزيادة فى

الميزانية الا منذ تولى رياض باشـا الوزارة وخاصـة لم يسمع باسم مصر قبل الان » ان الحكومة تنـازلت عن بعض الضرائب ، بل والضرائب دائما فى ازدياد ... ناهيك عما يرتكبه الحكام من طرق التحصيل ، مما يطول شرحه ... »

● ومن تقرير مرفوع الى الحضرة الخديوية من سعادة ناظر المعارف ، عن أعمال اللجنة المستديمة لطالبى الاستخدام بمصالح الحكومة ، انه قد تعين فى بحر العام الاول من تشكيل هذه اللجنة ٢٨٤ شخصا ممن قبلوا فى امتحانات تلك اللجنة ، ولنبين للقراء أصـل تأسيس اللجنة المذكورة والغاية منها ، وهى انه لما جبل رؤساء المصالح على مراعاة الخواطر والمحسوبية فى تعيين المستخدمين ، وكان لا يتعين فى مصالح الحكومة الا من ليس أهلا لها مع وجود الشبان الاكفاء من المصريين المتخرجين من المدارس ، وحازوا فيها قصب السبق لعدم وجود من يساعدهم على نيل تلك الوظائف فقد ارتأت الحكومة منعا لهذا الضرر الذى يعود على الهيئة الادارية بعدم الانتظـام لتوليـة الوظائف لغير مستحقيها تشكيل لجنة من بعض مستخدمى نظـارات الحكومة تحت رياسة ناظر الحقانية لامتحان كل من يريد الدخول فى الوظائف الاميرية تسهيـلا لسبل السعادة لمن جد من الشبان المصريين وحتى لا يعين فى الوظائف الا من استحقها تنشيطا لهم وتشويقا لغيرهم ، فقرر مجلس النظار فى ١٩ شوال عام ١٣٠٦ ـ ١٣ يونية عام ١٨٨٩ ـ لائحة تعيين المستخدمين وترقيتهم وجارى العمل بمقتضاها الآن ... نعم ان بعض رؤساء المصالح لا يتبعون أحكامها أحيانا اتباعا

لاهوائهم ، الا ان بعض الضرر اخــف من بعض ولولا هــذه اللجنة لمــا استخدم من تمين بموجبها ، بل عين بدلهم ممن له محسوبية على أحد الوجهاء ، أو استعمل احدى طرق الدناءة للتقرب منه ... هذا وقد صــدر الامر العالى مؤرخا من بندر قنا أثناء سياحة الجناب العالى الخديو بتعيــين محمود رياض بك ابن رياض باشا ناظر النظار مديرا لاسيوط بدلا من احمد شكرى باشا الذى عين محافظا للقاهرة ... أما البيك الموما(١) اليه فتربى فى باريس واقتبس من عادات الافرنج وهى المقامرة على ما قيل الا انه شاب نشيط يحب العمــــل بعيدا عن طبــاع الاتراك أو الشراكسة من المديرين محب للعدل والمساواة ... .وكانت ترقيته بسرعة غريبة فى أثناء وزارة أبيه ، فنقــــــل من وظيفته بالداخلية وهى رئاسة قلم المطبوعات الى مديرية بنى ســـويف ، ثم الى المنيا ، فأسيوط ، فى مسافة لا تزيد عن ثمانيــة عشر شهرا .. نعم ان هــــذا الترقى قابل للاعتــــراض والانتقاد ، الا ان حضرته احق بكثير من غيره من الذين نالوا الوظائف بدون استحقاق ...

● من اهم ما يتذاكر به الناس وتلفظ به الجرائد ، تقرير المستر سكوت الذى قدمه اثر سياحته فى الوجه القبلى للتفتيش على المحاكم .. هــــذا التقـــرير لم ينشر فى الجرائد الرسمية ... الا ان الجرائد نشرت طرفا منه ، ومما ظهر من خلال ما نشر منه أن جنــــاب المستشار الانجليزى يرغب فى ازدياد النفوذ الانجليزى فى المحاكم بتعيين مفتش عام للمحاكم ، ويكون انجليزيا وبعض قضاة انجليز فى محكمة الاستئناف .. والظاهر

(١) هكذا فى الاصل

ان رياض باشا عارض فى ذلك اشد المعارضة ... حتى ان جريدة « المقطم » المعضدة من الاحتلال الانجليزى ارجفت فى قالب تكذيب ان الخلاف قائم بين الوزارة والانجليز بسبب ذلك التقرير ... أما الحقيقة فلا تعلم الا بعد عودة الخديو من الوجه القبلى ...

ذكرت جريدة « المقطم » فى عدد يوم الثلاثاء ٢٠ الجارى ان فخرى باشا ناظر الحقانية أدلى بملاحظات على تقرير المستر سكوت اختلف فيها رأيه عنه فى أغلب المسائل خصوصا فيما يتعلق بتعيين المفتش العام ...

وقال انه يمانع كل الممانعة فى وضع مثل هذه المراقبة على القضاة والمحاكم ، سواء كانت المراقبة من ناظر الحقانية نفسه أو من المفتشين الذين يريد المستر سكوت تعيينهم ، وقد قرأ مجلس النظار هذه اللائحة ، ولم يقرر شيئا بخصوصها ، والظاهر انه سيصير تعيين لجنة للنظر فى تقرير المستر سكوت ولائحة فخرى باشا لتقرير ما يلائم حالة البلاد من كليهما ...

ثم يقول :

تقرر نهائيا تعيين اللجنة المنوه عنها وستكون مؤلفة بالصورة الآتية :

فخرى باشا رئيسا ، والمسيو موريندو « ايطالى » « مستشار خديوى » والمسيو لوجربل النائب العمومى لدى المحاكم الاهلية « بلجيكى » وابراهيم نجيب بك رئيس المحكمة الابتدائية بمصر وحامد محمود بك رئيس محكمة بنها ، وابراهيم فؤادبك وكيل محكمة الاستئناف بصفة أعضاء ، ثم اضيف الى أعضائها اثنان من القضاة الانجليز بمحكمة الاستئناف وكان أول اجتماع لهذه

اللجنة يوم الخميس ٢٩ الجارى ، ولقد أثارت هـذه المسألة الرأى العام ، وقامت الجرائد الوطنية «المؤيد» و « الوطن » تندد بتقرير المستر سكوت وتواردت الرسائل على الجرائد من الوطنيين الذين لا يريدون الا استقلال وطنهم ... أما جريدة « المقطم » الانجليزية فكانت دائما من المساعدين على ازدياد تفوق الانجليز و « الاهرام » الفرنساوية مذبذب لا يود الا الطعن فى الوزارة الوطنية ، وامتدح الجميع الوزارة فى معارضتها الانجليز فى هـذه المسألة الجوهرية وهى أول مرة عارضت الحكومة المحلية رغبات الانجليز ...

● فى يوم الثلاثاء ١٠ فبراير ، احتفل الاجانب بما يسمونه الكرنفال ، وكان احتفالا شائقا لم يسبق له مثيل فى القاهرة وقامت بتنظيمه لجنة يرأسها السير يارنج قنصل انجلترا ، والكونت دومينى قنصل فرنسا ، والسنيور ماتشيو قنصل ايطاليا ، وساعدت الحكومة بمبلغ ٢٥٠ جنيها ، وسار الموكب فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر من قصر النيل الى ميدان عابدين للمرور أمام الخديو ، ومنه الى ميدان الاوبرا فشارع كامل الذى به فندق شبرد المشهور « بخمارة شبت » فشارع وجه البركة ـ كلوت بك ـ فحول الازبكية ، واستمر الاحتفال حتى آخر النهار ، وفى المساء احتفل بليلة « رقص باللو » بتياترو الاوبرا وشرف الخديو فى الساعة الحادية عشر مساء ...

● أشيع سفر الاورطة الاولى من المشاة المصرية مع فرقة من الطوبجية والسوارى لجهة سواكن بغتة ، ثم تكلمت الجرائد بشأن ذلك وقالت ان سفرها لفتح مدينة طوكر الواقعة بالقرب من ثغر سواكن على طريق

الخرطوم ، والظاهر ان الحكومة تنوى فتحها والسير الى الخرطوم ان امكن خوفا من تقدم ايطاليا المحتلة الآن لمصوع نحو كسلا فالخرطوم ، الامر الذى يعود على مصر باوخم العواقب ...

● فى يوم الخميس ١٢ فبراير عزمت الحكومة على فرض عوائد جمركية على الحشيش لانتفاع الحكومة من ايراده ، حيث ان منعها له لم يمنع دخوله ولا تعاطيه جهارا فى المقاهى ، بل يعود عليها بخسارة ما تربحه من الجمرك بلا فائدة « ومن المعلوم انها لو سمحت فى ازدياد ايرادها من هذه الوجوه التى لا تضر بعموم الاهالى ، بل تفيد المستقيمين منهم ... امكن تخفيض الضرائب عن الاطيان وأرباب الحرف » ...

● صدر أمر عال تعهد به الجناب العالى الى بيت روتشيلد بمبلغ ٢٨٦٢٢ جنيه وكسور سنويا ، ابتداء من ١٠ ابريل عام ١٨٩١ خصما من ديون مصر الواجب على الخديو وخلفائه دفعها الى الحكومة الضامنة لهذه المبالغ المذكورة مبلغ ٩٠٠ الف جنيه ... واهمية هذا الامر العالى تأييد تبعية الحكومة المصرية الى الدولة العلية ... نعم أن هذه التبعية لا تفيد مصر أقل فائدة مادية ، الا أنها تفيدها فائدة أدبية وهى تقوية حجة المعارضين للانجليز فى مصر وخصوصاً فرنسا والروسيا المتحدين الان آتحاداً ضمنيا فى كافة المسائل السياسية ...

● وفى يوم ٢٨ صدر أمر عال بفرض جمرك على السيجار من ابتداء ٥ مايو المقبل وكان من قبل محتكرا لاحد الاجانب وذلك مما يزيد فى ايراد الجمارك ... وبالتالى يساعد على تخفيف الضرائب ...

● « أول مايو عام ١٨٩١ » أهم ما حدث فى شهر مايو استعفاء الوزارة الرياضية الوطنية على اثر تعيين اللواء كتشمنر باشا الانجليزى فى وزارة الداخلية لتنظيم البوليس وتوطيد الامن العام ، ولزيادة تدخل الانجليز فى كافة المصالح واستقالت معه الوزارة وذلك فى ١٣ مايو ، وكان لاستعفائه تأثير محزن فى قلوب المصريين لتحققهم أنها ستكون آخر الوزارات المصرية وخلفه على منصة الاحكام مصطفى فهمى باشا الذى كان ناظرا ـ اسما ـ للحربية وكذلك سيكون ناظرا للنظار ـ اسما ـ ولا يأتى الا ما يلقنه يارنج وزير انجلترا بمصر وان شئت فقل خديويها الاعظم ... وشكلت الوزارة الجديدة برئاسة مصطفى فهمى باشا ولم يكن بهذه الوزارة عضو وطنى أصلا وذلك أن رئيسها وزكى باشا من جزائر الغرب وعبد الرحمن باشا رشدى مالطى الاصل ولم يولد بمصر ، وكذلك يوسف باشا فأصله رقيق من قبائل الجركس وتيكران باشا ارمنى وحسين فخرى باشا من أبوين تركيين لكنه يعد مصريا وكان معتبرا فى عيون المصريين خصوصا الشبان منهم الا ان بقاءه فى الوزارة الجديدة بعد معارضته لمشروع سكوت ، ونفاد هذا المشروع رغم أنفه اسقطه من عيون محبيه لتفضيله شرف المنصب على شرف النفس وعزتها ...

● فى شهر مايو ظهر الجراد فى مديريات الوجه القبلى حتى اسيوط ولم تأل الحكومة جهدا فى مكافحة الجراد بل شددت الاوامر على الحكام باعدامه واعطاء قرش صاغ لكل من يأتيها باقة منه أو من بيضه وأرسلت جميع معاونى الداخلية لمساعدة الحكام على ذلك ولقد خفت وطأته والامل وطيد بمقاومته عن قريب وقانا الله شره ...

● في يوم الخميس ٣ يناير عام ١٨٩٢ تواترت الاخبار عن شدة مرض الخديو بعد أن قيل بالامس انه متوعك المزاج قليلا من شـدة البرد ، وقال البعض ان حالته خطيرة لتأثير البرد على رئتيـه ... وفى مسـاء اليوم المذكور أتت الاخبـار من حلوان بأن الخديو توفى الى رحمة الله بسبب مرضه الذى لم يمهله الا ثمانية أيام اشتد المرض عليه فى اليومين الاخيرين فيهـا فأغلقت التياترات والمقاهى والمحال العمومية وأخطر ولى العهد البرنس عباس باشا بمدينـة فيينا تلغرافيـا وأخطر الباب العالى فجاء تلغراف من ولى العهد الى مصطفى باشا رئيس النظارة هذه ترجمته :

ــ ان خبر وفاة سـيدى ووالدى قد أدهشنى وهـذا مصاب عظيم ليس فقط بالنسبة لعائلتى بل بالنسـبة للقطر المصرى جميعه فمتى وصـلنى منكم الاخبـار الاكيدة عن الوابور الذى سيصير تحضيره فى تريسته اسافر بلا تأخير واخبركم بالتلغراف عن ساعة السفر وانى على يقين بانه حين ما أصل تستمر الاعمال سائرة على أحسن محور بهمة عطوفتكم ...

محبكم : عباس

وورد تلغراف من الصـدر الاعظم بالاستانة بتعيين عباس باشا أكبر أولاد الفقيد خديويا لمصر وهـذا نص ترجمته :

ــ بنـاء على ما عرضـناه على الحضرة الشـاهانية تقرر سند الخديوية الى حضرة عباس حلمى باشا أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ... وانه لحين ما يصـل حضرته الى مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة عطوفتكم

بالاشتراك مع هيئة النظار ... وقد صـــدرت الارادة السنية بذلك فلزم الاخطار ...

الامضاء : جواد

● بعد موت الخديو كثرت الاشاعات بأن موته تسبب عن جهل أو غلط الاطبـــاء المعالجين له وزاد اللغط ، حتى ان مجلس النظار طلب من الحكيمين « هيس » و « كومانوس » اللذين اســـتدعيا للاســـتانة فى يوم الاربعاء السابق للوفاة ومن سالم باشا سالم أن يقدموا تقارير عن حالة المرض وسبب الموت فقدموا التقـــارير المطلوبة يشم منها رائحة المسئولية على عيسى باشـــا حكيم السراى الثانى ، فكلفـــه مجلس النظـــار بتقديم تقرير وعين لجنة من مهرة الاطباء لفحص هذه التقارير ثم بعد يومين صرف النظر عن هـــذه المسألة بالـــكلية حيث انه اتضح ان الموت طبيعى لا شبهة فيه ...

● فى ١١ يناير وصل الخديو عباس وأجريت التشريفات اللازمة وفى ميدان عابدين قرأ رئيس النظار التلغراف الوارد من الصدر الاعظم بتولية عباس باشـــا وعزفت الموســـيقى المصرية الســـلام الخديوى يتخللها ثلاث صيحات متعاقبة من الجيش المصرى بكلمة « أفنـــــدم قرجونه يشـــا » الخ ...

● فى يوم السبت ٣٠ منه اجتمعت الجمعية العمومية وحضرها الخديو وبعد أن حلف اليمين بين يدى أعضائها القى سموه خطابا وجيزا أظهر فيه اهتمامه بأعمـــــــال مجلس نواب الامة وبشرهم بالغاء ضريبة « العونة » التى لم تحصـــل وبلغو (١) الباطنطا وبتخفيض ثمن الملح

(١) لغو : يعنى الغاء والباطنطا نوع من الضرائب التى كانت مفروضة وقتئذ « المؤلف »

الى نصف قرش للكيلو بعد أن كان ثمنه قرشا واحدا اى ان التنزيل بلغ ٤٠٪ تقريبا ... وختم الخديو خطابه بقوله :

« وأملنا بمعونة الله ، ومعاضدة الامة الكريمة تكون أعمالنا ومساعينا عائدة على مصر بالسعادة والرفاهية ان شاء الله »

وهذه أول مرة ذكرت فيها الامة ومعاضدتها فى مقام رسمى اذ الولاة السابقون كانوا يعتبرون الامة كقطيع من الاغنام لا يصلح الا للجزر ...

● فى أول فبراير احتفل بتسليم قنصل فرنسا الجنرال نيشان « ليجيوردونير » الذى أهدته دولة فرنسا الى الخديو وفى اهدائها اياه هذا النيشان قبل أن يأتى اليه فرمان التولية أو تهديه الدولة العالية نيشانا ساميا ، برهان على انها تريد بذلك تسخيره على مقاومة الانجليز لا سيما وأنها أرسلت « دوننمة بحرية » (١) رافقت اهداءه النيشان ..

● فى ٤ فبراير قابل الخديو اميرال الاسطول الروسى الذى أرسل من قبل قيصر الروسيا للسلام على الخديو وتهنئته وفى مجىء هذه الدوننمة الروسية عقب وصول الدوننمة الفرنسية بل قبل مبارحتها المياه دليل على اتحاد الدولتين على معاكسة الانجليز فى مصر ...

● فى ١٣ فبراير حصلت تغييرات فى رجال الجيش العسكريين وفيه وصل قائد الاسطول الايطالى لتهنئة الخديو ومجىء هذا الاسطول لم يكن لمناصرة فرنسا والروسيا اذ ايطاليا معضدة للانجليز فى مصر ...

● فى ١٧ فبراير أنعم الخديو بالنيشان البحرى من

---

(١) يعنى أسطول « المؤلف »

الدرجة الاولى على سعادة احمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية « والدى » ...

● ١٠ مارس بعد الظهر بارز تلاميذ المدرسة التوفيقية تلاميذ المدرسة الخديوية فى لعب كرة القدم وهى رياضة انجليزية أدخلت حديثا فى المدارس ولتنشيط التلاميذ عليها جرى حصول مبارزات بينهم كى تهتم الفئة المغلوبة فى اتقان اللعب فتفوز على الفئة الغالبة ...

● ٢٧ مارس ثبت تعيين كتشنر باشا مفتش عموم البوليس سردارا للجيش المصرى بدلا من سيرجرانفيل باشا وتعين بدله ستيل باشا وهو انجليزى أيضا وهى فرصة أضاعها الخديو عباس لزيادة نفوذه وتاييده واستقلاله بتعيين سردار مصرى أو بتقلده هو نفسه رياسة الجيش المصرى ...

● ٥ أبريل توفى محمود باشا حمدى أخ زوجة رياض باشا وكان وكيلا للداخلية وشيعت جنازته بغاية الاحتفال مراعاة لرياض باشا لا للمتوفى حيث انه كان مبغوضا من أغلب الناس لسوء طباعه وعدم حسن معاملته لهم ...

● فى ٢٠ يونيه صدر الحكم فى القضية التى رفعها المسيو ملتون الانجليزى رئيس أطباء القصر العينى ضد جريدة « البوسفور » الفرنسية لطعنها فيه والحكم يقضى بأن تدفع الجريدة اليه مبلغ ألف جنيه مصرى خلاف المصاريف ومن الغريب ان جريدة « المقطم » نشرت ملخص هذا الحكم قبل صدوره بيومين وذلك مما يثبت ان المحاكم المختلطة التى أصدرته مختلة وتتدخل السياسة فى مسائل القضاء ... أما الفرنسيون ففى غاية الكدر من هذا الحكم لاسيما وان رئيس المحكمة

كان المانيا ومن اشد أعداء فرنسا ...

● في أواخر رمضان حدثت مسـالة مهمة كادت تكون عاقبتها وخيمة لولا أن تداركتها الحكومة وهى ان ناظر الداخلية وهو رئيس النظار مصطفى فهمى باشا أصدر أمرا « بمنع اطلاق المدافع فى البنادر لعدم وجود عساكر مدفعية مدربين وتسليم المدافع للبوليس ينشـأ عنه ضرر أحيانا كما حصل فى بحر شـهر رمضان وهو اصابة أحد عساكر بوليس المنيا بالمدفع أعدمه الحياة » فهاج الاهالى وعدوا ذلك اجحافا بشـعائر الدين وكتبوا عدة تلغرافات للخديو بذلك فصدرت الاوامر فى يومهـا بتفسير أمر الداخلية « بصورة تجعله غيرنافذ المفعول » وبذلك هدأت البال ...

● فى ١٣ يوليو أضرب الجـزارون عن ذبح الماشـية فأصبح ثمنها يساوى ضعفى الثمن والسبب ان الحكومة كانت متبعة طريقة سهلة ولـكنها اقرب للغش فى أخذ رسوم الدخل وهى ان المعـاون المعين بالمحطة يقـدر الرسوم على حسب ما يتراءى له ، ثم استبدلت الطريقة بأخرى أقرب الى العدل وهى وزن الشاة أو غيرها ثم تنزيل ثلث الوزن نظير الأجزاء غير النافعة منها للأكل ويقول الجزارون ان هذا التقدير غير حقيقى وان نسبة الجزء غير الصالح ما بين ٥٠ ٪ و ٥٥ ٪ وقد أخذ الوطنيـون منهم والأجانب وقاموا بالاضراب عن الذبح والبيع وتقـرر تأليف لجنـة من الحكومة والجزارين الوطنيين والاجانب ...

● فى ١٩ أغسطس عين المستر جاومس وكيلا للاشغال وكان قد تقرر أن وكيل الاشغال يكون انجليزيا كوكيل المالية بمعنى ان أهم نظارات الحكومة تكون فى قبضتهم

حيث ان النظار ينفذون رأيهم ويكونون آلة صماء فى أيدى الانجليز ...

● فى ٦ ديسمبر صدر عفو كريم عن كل من بقى من المحكوم عليهم بسبب الثورة العرابية وأن ترد لهم رتبهم ونياشينهم وذلك لمحو آثار الثورة كلية ولم يبق الا المحكوم عليهم بالنفى فى جزيرة سيلان : عرابى ورفاقه

● مع بداية عام ١٨٩٣ كتب محمد فريد عن المنشور الذى أصدره كوكس باشا الانجليزى يأمر به المديرين «بأن جميع المخاطبات التى تختص بالضبط وتعيين العمد والمشايخ والخفراء تكون بعنوان ـ مفتش عموم البوليس ـ لا بعنوان ـ ناظر الداخلية » وقد هاجت الافكار وماجت عقب هذا المنشور الذى يحول جميع أعمال ناظرالداخلية الىمفتش عموم البوليسوهوانجليزى وقد ساعدهم على اصدار هذا المنشور وجود مصطفى فهمى باشا ناظر النظار مريضا فى بيته من نحو عشرة أيام ولو أنه لا يعارض فى اصداره ...

● فى ١٥ يناير سقطت الوزارة ويقال ان سبب سقوطها تعضيدها للانجليز فى مسألة منشور البوليس ضد رغبة الخديو وكيفية سقوطها أن الخديو أرسل زكى باشا ناظر الاشغال والمعارف ـ اسما ـ الى مصطفى فهمى باشا وهو ابن أخته ليدعوه الى الاستعفاء على لسان الخديو وذلك فى مساء السبت أمس ١٤ منه فوعده مصطفى باشا أن يعطى جوابه فى صباح الغد ـ أى اليوم ـ وفى الحال أرسل الى بالمر مستشار المالية الانجليزى وأخبره بواقعة الحال فنصحه برفض الاستعفاء ولذلك لما أرسل اليه الخديو فى الصباح محمود شكرى باشا أحد رجال المعية يطلب منه الجواب أجابه بأنه

لا يستعفي فبعد ذلك بنحو ساعة أرسل اليه الخديو ارادة سنية باقالته من منصبه ...

وبذلك عزلت هـــذه الوزارة الانجليزية رغم انف الانجليز وتشكلت الوزارة ظهر اليوم برئاســة حسين فخرى باشا وتولى بطرس باشا وكيل الحقانية وزارة المالية ومظلوم باشا « تشريفاتي أول خديو » ناظرا للحقانية وبقى تكران باشا فى الحقانية وزكى باشــا للمعارف والاشغال ويوسف شهدى باشا للحربية ويقال انه مزمع تغيير زكى باشا وشهدى باشــا واحمد شكرى باشــا وكيل الداخلية (المشــهور بضعف عزيمته وموافقته للانجليز) ...

● فى ١٩ منه اســتلم النظار الجــدد وظائفهم ولم يعتبر الموظفون تعيينهم قانونيا بل أن بالمر مستشار المالية قابل بطرس باشا وهنأه قائلا له ما مؤداه : انى لاأعتبرك ناظرا حتى توافق حكومة انجلترا على ذلك ، وكذلك فعل « سكوت » بالحقانية مع مظلوم باشا ، ويقال ان اللورد كرومر ـ بارنج ـ اتفق مع الخديو عن عدم نشر الارادة السنية المؤذنة بتشكيل الوزارة الجديدة حتى تجىء اليه تعليمات من لندن ...

وتوجه النظــار الى نظــاراتهم بعد ذلك رغما عن معارضة الانجليز وباشروا أعمالهم والذى اشــيع فى صباح اليوم عن المصــادر التى يوثق بها انه قد أتت تعليمات من لندن الى اللورد كرومر فى مساء أمس تفيد عدم موافقة حكومة الانجليز على هذه الوزارة المعينة ضد رغباتهم وقام كرومر بتبليغ ذلك للخديو . فجاوبه الخديو

● فى الساعة ١١ من صباح هذا اليوم حضر اللورد كرومر وطلب من الخديو اســقاط وزارة فخرى باشا

وارجاع وزارة مصـــطفى فهمى ، فابى ... فاقترح عليه أن يتعهد له سموه كتابة باستشـــارة انجلترا فى المستقبل فى مسالة تغيير الوزارات وهى تصـــدق على تشكيل الوزارة فرفض هـــذا الاقتراح بكل شهامة ...

فاقترح عليه أخيرا تغيير فخرى باشا بغيره لأن فخرى باشا ممقوت عند انجلترا ... فأجاب سموه بانه سيفكر فى هذا الاقتراح الأخير .. فسأله اللورد كرومر عمن يريد تعيينـــه بدل فخرى باشا ، فأجاب ســـموه ، بأن ذلك من خصائصـــه هو لا غيره ، فانصرف اللورد كرومر ... وبعدها حضر لعـــابدين قنصـــل اسبانيا بصفته أقدم القناصل ، وقنصل المانيا ، والنمسا ...

والتمسوا من الخديو تغيير فخرى باشا لحسم النزاع لاسيما وان المسالة انتقلت من دور المبادىء الاصلية الى دور الشخصيات ـ فقبل ســـموه ذلك ـ وارســـل لاستدعاء رياض باشا رجل مصر الوحيد وكلفه بقبول رئاسة المجلس مع بقاء الوزراء الذين انتخبهم ســـموه فوعده رياض باشـــا بالتفكير فى ذلك وانصرف ...

فأرسل الخديو خلفه والدى فريد باشـــا ليلح عليه فى القبول نظرا للحالة الحاضرة ، فتوجه اليه وعاد يخبر الخديو انه قبل تقريبا وسيقابل سموه عند الغروب ، ثم توجه اليه كما وعد وقبل الرئاســة وبذلك انتهت الازمة وانتصر الخديو فى مقـــاومة الامر الذى لم يره الانجليز مدة الخديو المرحوم توفيق باشا الذى كان رحمه الله السبب فى تطـــاول الانجليـــز الى الوظائف بتســـاهله معهم فى كل الامور ، كما كان الســـبب فى دخولهم مصر وقد ورد فى هذا اليوم الى الخديو تلفراف من المابين الهمايونى يعضده فى مقاومته ويشكره على ذلك

● فى ١٩ منه حضر رياض باشا الى الداخلية ومعه الامر العالى المؤذن بتعيينه رئيسا للهيئة وبقاء النظار الذين عينهم الخديو وقد جاء فى الرسالة التى أرسلها الخديو لرياض باشا يكلفه فيها بقبول الرئاسة انه يعده وعدا صريحا بتعضيده ومساعدته فى كل اجراءاته ولولا هذا الوعد لما قبل رياض باشا لأن السبب فى استعفائه مدة توفيق باشا هو عدم مساعدته وتساهله مع الانجليز فى كل أحوالهم وطلباتهم ويقال ان فى العزم تغيير زكى باشا لعدم اطاعته الخديو فى تبليغ طلب الاستعفاء الى مصطفى فهمى باشا وارتين باشا لسعيه فى خراب المعارف وتوسيع نطاق التربية الانجليزية بالمدارس واحمد باشا شكرى وكيل الداخلية لتساهله مع البوليس ورؤسائه الانجليز وأحمد باشا عفت مدير الدقهلية لميله لأعداء الوطن ، لكن ستترجأ هذه التغيرات قليلا حتى تهدأ الافكار ...

● بلغت الايرادات عشرة مليون وعشرة آلاف جنيه مصرى ، وبلغت المصروفات تسعمائة وخمسا وخمسين الف جنيه مصرى فتكون الزيادة أربعمائة وستين الف جنيه مصرى وهذه الزيادة وهمية لانه لو لم تحول الديون ويتوفر منها المبلغ أعلاه لما بلغت الزيادة الا ١٨٢و١١٦ جنيها مصريا ، ولو كانت الدائرة السنية لم تربح فى هذا العام مبلغا عظيما وكانت تخسر كالسابق مائتين وستين ألف جنيه مصرى لاصبحت الميزانية فى عجز لا فى زيادة ، فالفضل فى هذه الزيادة لم يكن لرجال الانجليز الماليين ، بل لتحويل الدين ، ولناظر الدائرة السنية الوطنى والذى احمد فريد باشا ...

نعم أن الحكومة انزلت ضرائب مديريتى جرجا

والجيزة مبسلغ مائة واربعة عشر الف جنيـــه مصرى بمقتضى امر عال ، لـكن هـذا المبلغ لم يكن شـيئا مذكوراً فى جانب ضريبة الدخان التى تربح سنويا فوق السبعمائة ألف جنيه مصرى يدفعها الاهالى . حقيقة لا لوم على الحكومة اذا زادت الضرائب على الدخـــان والمسكرات وما شاكلها اذا كان ذلك لتنشيط الزراعة المصرية (١) لكنها ملومة كل اللوم فى انها لم تقصد بذلك الا الوجهة المالية فقط وابطلت زراعة الدخان البلدى الامر المغاير لمبادىء الاقتصـــاد الســـياسى لانها بذلك أعدمت زراعة مصرية فى سبيل احيـــاء الزراعة الاجنبية مراعية فى ذلك صالح المالية قاضية بذلك على مصالح الاهالى حتى تظهر لاوروبا بهذه الارقام الوهمية ان المالية تقدمت فى زمن الانجليز واللوم فى ذلك على رجالنـــا الوطنيـــين الضعفاء الذين لايقاومون الانجليز فى مثل هذه المشروعات محافظة على راتبهم السنوى قاتلهم الله ...

● فى مساء ٨ أبريل (شخص) بالاوبرا برواية عربية من انشاء اسماعيل أفندى عاصم المحامى وهو شخص أهم دور فيها وأقبل الناس عليها حتى لم يجدوا بهـــا محـلا خاليا ، وخرج الجميع يثنون على همـة هـــذا النشـيط متعشمين انها لاتكون آخر رواياته ومقدمة لغيرها من تاليف غيره من اذكيـــاء المصريين فان فن التشخيـــص يحتاج الى الترقى فى ديارنا المصرية ...

● صدرت فى هذه الايام جريدة علمية وطنيـــة اسمها « التقـــدم المصرى » يقوم بتحريرها أعضاء جمعيـــة التقدم المصرى المشكلة فى مونبليـــه بفرنسا من شـــبان مصر النازلين بها ومدير أعمالها الشيخ احمد القوصى من طلبـــة العلم فى دار العلوم وقد كثـــرت الجـــرائد

(١) من التشخيص : اى التمثيل

العلمية المصرية وضمنها « الشرائع » ويحــررها جمــاعة من طلبــــة الحقوق ، و « الهدى » و « القديم » ، و « المدرسة » ، و « التلميــذ » وتحرر « التلميذ » جمعية مشكلة من بعض الشــــبان المسلمين بها جمعية التعاون الاسلامي ـ لمســاعدة فقراء التلاميــذ وايراد هذه المجلة يضاف الى صندوق هذه الجمعية ....

● حضر الجناب العالى والنظار تجربة الوابور البترولى الذى اخترعه احمــــد صبرى بك المصرى المهنــدس بالسكك الحديدية وهو اختــــراع غريب فى بابه اذ انه لا يحتــاج لفحم حجرى ولا لافران ، بل يدار بتبخر زيت البترول فقط بحرارة الشرارة الــكهربائيــــة ، ونجحت التجربة نجاحا عظيما ...

● وفى هذين اليومين اخترع شاب مصرى اسمه احمد افندى وهبى بجهة الناصرية آلة رالعة حلزونية الشكل يديرها حيوان واحد وتكفى لرى ٢٤ فدان صيفى ويتم باستعمالها اقتصاد نحو ٨٠ ٪ من مصــاريف أى آلة رافعة اخرى وهذا ما يسر كل مصرى اذ به مضى قول المدعين بأن المصرى فقد قوة الاختراع ...

● فى ١٣ يونية عام ١٨٩٣ صدرت جريدة «الاستاذ» اليومية لعبد الله افندى نديم وبها عبارة مؤداها ، ان الجريدة ستحتجب مدة الصيف بسبب سفر محــــررها الى خارج مصر تبديلا للهواء ، لكن يظهر أن احتجابهــا كان قهرا عنه لعدم رضى الانجليز عن جريدته الوطنيــــة الوطنية وهكذا تكون حرية الجرائد فى مصر !! ...

● لقــــد تحقق من أن توقف جــــريدة « الاستاذ » سيكون نهائيا لمعارضتها السياسة الانجليزية فقد تقــــرر ابعاد محررها الى خارج البــــلاد باختياره وهو قبل ذلك

بشرط أن تدفع اليه الحكومة فوراً مبلغ ٤٠٠ جنيه مصرى بصفة ترضية وترتب له ٢٥ جنيها شهريا تصرف اليه أينما يكون بشرط ألا يكتب عن مصر مطلقـا وأن يقيم خارجا عنها ... وصرفت اليه الحكومة الأنجليزية ٤٠٠ جنيـه مصرى وأعطى سركى المعاش وسافر رابع يوم عيدالاضحى قاصدا بلاد الشام ولقد اضطرت الحكومة لذلك بسبب تهديد اللورد كرومر لها بالقبض عليه بواسطة عساكر الاحتلال وخوفامن حصول مايكدرالراحةالعمومية وساعده رياض باشا حتى حصل له على هذا المبلغ ... فتأمل الى أى درجة وصل نفوذ الانجليز وضغطهم على الحـكام فى بلادنا ... لعن الله من كان السبب فى دخولهم ...

● فى ٣ يوليو صدر أمر عال بتعيين محمد بك نجـل المرحوم شريف باشا ... وهو من الشبان المتعلمين جدا لـكنه اقتبس أقبـح عادات الاجانب وهى اتخاذ الخليلات علنا بدل الزواج فاتخذ له خليلة اجنبية من مدة والده ولم تزل معه حتى الآن ...

● تواترت الاشاعة عن أخذ بطرس باشا ناظر الماليـة مبلغا من النقود من اخوان سوارس مقابل اعطائه بعض امتيازات فى ادخال السكر من ورشـته الى القـاهرة بدون دفع عوائد دخل مدة من الزمن ، ثم اعفائه من بعضها مدة طويلة من الزمان ...

● فى ١٤ أكتوبر توفى العـالم الشهير على مبارك باشا صاحب المـآثر الجليلة والمؤلفات المفيـدة واحتفـل بتشييع جنازته احتفـالا شـاهقا لم يسبق لغيره من الذوات بل كان شـبيها بجنازة الخديو توفيق باشـا ومع ذلك فما عمل له أقل بكثير مما يستحق لو روعيت خدماته فى الحكومة

وســـارت امام نعشـــه فرقة من الجيش المصرى بالموسيقى وكثير من تلاميذ المدارس العالية والصفرى وكافة ذوات البلد يتقدمهم رئيس مجلس النظار رياض باشا ... واغلقت جميع المدارس من أقصى البــلاد الى اقصاها ... ولو كان هذا الرجل المفضال فى بلاد غير بلادنا لاقيم له تمثال فاخر تخليـــدا لذكراه وربما اهتم بعض الطبقات المتعلمـة بعمـل اكتتاب لاقامة إثـر لهذا الفقيد ...

● وفى ١٧ يناير قــرر مجلس النظار مساعدة المعرض الوطنى المزمع انشاؤه فى الاسكندرية بمبلغ الف جنيه وهو مبلغ زهيد جدا لقاء هــذا العمـل الجليل الذى لم يسبق عمله فى مصر لاسيما وان المجلس قرر اعطاء ٥٠٠ جنيه مساعدة للجنة المرافع (السخرة) مع عدم الضرورة لذلك مطلقا .

● بلغنا ان ابراهيم افندى رمزى احد اعيان الفيــوم ومن اهم ادبائها وشعرائها عزم على انشاء جريدة خاصة لمديرية الفيوم وسيصدر العدد الاول منها يوم تشريف الخديو مدينة الفيوم ...

وستكون الجريدة اسبوعية ، وهى اريحية مفيــدة نامل ان يقتدى بها ادباء باقى المديريات فتصدر جريدة لكل مديرية تدافع عن حقوقها ، وتناضل عن مصالحها ، وعلى أى حال ما دامت النهضة الادبية مستمرة فلا يبعـد الوصول الى هذه الغاية قريبا ...

● فى هذين اليومين ـ أوائل مارس ـ صـدر مؤلف مهم جدا باللغة الفرنسية الفه حضرة الفاضـل قاسم امين بك القاضى بمحكمة الاستئناف الاهليـة ردا على كتاب أصدره منذ عامين احد الفرنسيين طعنا فى الامة المصرية مدعيا ان الدين الاســـلامى سبب تقهقرها ،

فأراد قاسم بك دحض هذه الادعاءات ، فوفى بالفرض وسبب تحرير كتابه بالفرنسية هو نشره على الاجانب فى مصر ، ليعلموا ان فى مصر رجالا قادرين على الدفاع عن شرف أمتهم .. وبذلك استحق هذا الفاضل ثناء جميع المصريين على الاطلاق ...

● وفى يوم أول مارس احتفل فى مدينة الباجور عاصمة مركز سبك بالمنوفية بوضع الحجر الاول للمدرسة التى قام بدفع نفقات بنائها أعيان المركز وهذه اريحية يجب تخليدها لهم .. فان الامة لا ترتقى وتعرف حقوقها وواجباتها الا بالتعليم .. ويسرنا ان أهالى مدينة منوف واشمون وتلا بالمنوفية قد حذوا حذوهم ، وجمعوا المال اللازم لبناء المدارس فى مراكزهم ، وما ذلك الا بهمة الفاضل امين بك فكرى المدير العام .. وان شاء الله يقتدى به باقى المديرون ـ وخاصة المتعلمون منهم ـ فيؤسسون مدرسة فى كل مركز فينتشر العلم بين الاهالى وتعم فائدته .. وهذه أول النتائج الحسنة التى نشأت وتنشأ من تعيين مديرين متعلمين مهذبين ، وقد انضم أهالى مركز مليج وجمعوا مبلغا كافيا من المال لبناء مدرسة فى بندر بركة السبع وستفتح جميع هذه المدارس فى أول العام القادم اذا تم بناؤها .. وقد قررت نظارة المعارف تأسيس خمسة وعشرين كتابا منتظما فى البلاد الصغيرة بشرط أن البلدة التى تطلب ذلك تقدم المحل اللازم لها

● فى أواخر مارس قررت الحكومة تحويل الدين الموحد ورأس ماله ٥٥ مليون تقريبا من الجنيهات الى دين جديد بفائدة ٣ ٪ بدلا من ٤ ٪ وعرضت مشروعها على الدول فعارضت فيه فرنسا بحجة ان اهلها يمتلكون نحو أربعة اخماس هذا الدين وأنها لا تقبل

تنزيل الفائدة ١ ٪ وللذلك ينتظر عدم نجاح هذا المشروع فانظر الى هذا التعصب والتدخل فى الشئون الداخلية المحضة ..

● فى ٦ فبراير عام ١٨٩٤ ــ بعد الظهر ــ احتفل بعيد المساخر (كرنفال) عند الافرنج وحضره الخديو وكان المتفرجون عديدين جدا ، وفتحت حديقة الازبكية للفقراء مجانا واطرب فيها الحاضرين الشيخ يوسف المنشد الشهير ، ومحمد عثمان الالاتى وكان بها عدة طبول بلدية وبعض العاب للصبيان وانقضى اليوم ولم يحصل ما يكدر الراحة ...

● فى ٢٢ أبريل أحتفل فى الاسكندرية بافتتاح المعرض الصنامى الوطنى بحضور الخديو والنظار وجمع غفير من الاعيان ، ثم ألقى ابراهيم نجيب باشا المحافظ خطبة تناسب المقام ، ثم تلاه هيكاليس بك مدير جريدة « الفارو الاكسندرى » الفرنسية فالقى خطبة رد عليها بما يناسب المقام .. وبعد أن شاهد الخديو محلات العارضين عاد الى قصره .. ومحل الانتقاد فى الاحتفال هو أن الخطب كانت باللغة الفرنسية مع اننا مصريون ، والمعرض مصرى ، والمحافظ والخديو كذلك.. فكان الواجب عليهما التكلم باللغة العربية الشريفة ...

● أعتصم عمال نقل القمح فى بورسعيد طلبا فى زيادة الاجرة وضربوا المشتغلين فتداخلت الحكومة وقبضت على كثير منهم وفى ٢٤ مايو أى بعد ثلاثة أيام من بداية الاعتصاب ــ انتهى الاعتصاب ــ بهمة ماهر باشا المحافظ وقد القت جرائد الانجليز المسئولية عليه بدعوى انه هو المحرض للاضراب ليطلبوا عزله من الخديو فلم يفلحوا ...

● فى يوم الاثنين ٧ مايو عام ١٨٩٤ ـ يوم شم النسيم ـ هرع الاهالى الى ضواحى العاصمة للنزهة ، وبلغ عدد من قصد المطرية بطريق السكة الحديد نحو اربعة عشر ألف نفس ، ومن توجه الى القناطر الخيرية نحو ثمانية آلاف على ما بلغنى من بعض مفتشى السكة الحديد ...

● فى يوم الثلاثاء أشهرت الدائرة السنية بيع أطيانها فى تفتيش بسنديلة بالوجه البحرى البالغ مقدارها ١٢٣ ألف فدان بناء على طلب شركة البحيرة ، وكان الثمن الاساسى ٢٤٤ ألف جنيه مصرى حيث ان أغلبها برارى وكان الرأى العام كاسف البال متأسفا من تملك هذه الشركة الاجنبية مثل هذا القدر من الاطيان صفقة واحدة وتكلمت بذلك الجرائد لكن لم يسمع نداؤها حيث ان رئيس الشركة بوغوص نوبار باشا ابن نوبار باشا رئيس مجلس النظار الجديد . لكن ظهرت شركة وطنية يوم المزاد تحت رئاسة محمد البابلى بك وحسن مدكور بك ، واشتراك كثير من التجار وعمد الجهات التى بها الاطيان المراد بيعها ودخلت المزادالى أن رسا عليها بمبلغ ٢٧٤ ألف جنيه مصرى ، لكن يخشى الناس ان مجلس النظار لا يصدق على هذا البيع نظرا لخاطر بوغوص باشا اذ لا يرجى من نوبار باشا الذى اغتنى من السرقة والخيانة ان يقدم صالح الشركة الوطنية على صالح ابنه الذى ربما كان نائبا عن والده فى هذه المسألة ...

● فى ١٢ منه تحقق ما كنا نخشاه من عدم تصديق الحكومة على بيع تفتيش بسنديله الى الشركة الوطنية واعطائه الى شركة رى البحيرة ؛ وقد اختلفت الاقاويل

فى ذلك ، ونددت الجرائد بالحكومة حتى اضطرت الى نشر ما جرى فى هـذه المسألة من المحررات الرسمية بين المالية ومجلس النظار والدائرة السنية ظنا منهـا ان هذه التفصيلات تبرئها من وصـمة خدمة الاجانب وتثبيط همم الوطنيين فأتى ما نشرته على عكس ذلك

● فى خلال مايو شرعت الحكومة المصرية فى ابطال الرقص من المقاهى والمحلات العمومية مراعاة للآداب العامة واصدرت أوامرها بذلك فامتنع الرقص ما عدا فى محل واحد لان الراقصـة كانت متزوجة برجـل جزائرى تابع للدولة الفرنسية... فلما رأت الراقصات ذلك اصبحن يتزوجن بمغاربة ممن لا خلاق لهم ... وبذلك عاد الرقص الى ما كان عليه وزيادة بواسـطة وكيل الدولة الفرنسية الذى كأنه لم يوجد بمصر ، الا لحماية الفسـق والفجور ، وهـذه من بعض مضـار امتيازات الاجانب بمصر ...

● ظهرت فى هـذا الاسبوع والاسبوع الماضى جريدة وطنية مضادة للحكومة وللانجليز ، ومحررها وصاحب امتيازها اسماعيل اباظة بك من عائلة اباظة المشـهورة بالشرقية وسماها « الاهالى » وبما انها شديدة اللهجة على الانجليز يخشى عليها من اضطهاد الحكومة فلا تلبث ان تغلق كما حدث لجريدة « الاستاذ » فى العام الماضى

● فى ٢٣ منه صدر أمر عال باحالة والدى فريد باشا ناظر الدائرة السنيـة الى المعـاش وعين مكانه محمد محمد شاكر باشا وكيلها ناظرا وسيعين مكانه دانينوس باشا الارمنى والسبب فى ذلك على ما يرى هو رغبـة نوبار باشا فى ترقية دانينوس باشا حيث يقال انه ابنه من السفاح .. اما والدى فقد استحق المعاش الكامـل فالراحة الان افضـل له من الخدمة وقـد اسـتكمل

شاكر باشا معاشه ايضا ، وعن قريب يطلب الاحالة الى المعاش ليعين دانيئوس ناظرا وهو المطلوب وستصبح الدائرة مغلقة الابواب فى وجه المصريين الذين يطلبون الاستخدام اذ يكون ملكا حلالا للارمن ومن على شاكلتهم من الدخلاء الذين هم أضر على البلاد من الانجليز ..

● منذ بضعة أيام حدث اعتصام فى بور سعيد من عمال الكراكات التى تشتغل فى القناة واغلبهم من الاروام وغيرهم من اخلاط الاجانب وطلبوا زيادة اجورهم فأرسلت الحكومة قوة من البوليس لمنع ما لا تحمد عقباه واخذت الحال فى التحسن شيئا فشيئا لكن فى مساء الاحد ٣٠ منه اطلق شخص مجهول رصاصتين على باشمهندس القناة فقتله بعد ساعات قليلة واهتزت لذلك الحكومة وقنصلاتو فرنسا وارسلت الحكومة فنك باشا الانجليزى لتحقيق الواقعة بكل اهتمام اذ تخشى الحكومة او بعبارة اخرى يخشى الانجليز ان تتدخل فرنسا فى الامر وربما انزلت بعض عساكرها الى ضفة القناة بدعوى المحافظة عليها وعلى رعاياها المشتغلين فيصعب اخراجهم وتنتقل المسالة الى دور سياسى هام

● فى أول أكتوبر اجتمع مجلس شورى القوانين تحت رئاسة حسن حلمى باشا وكيله وهو من الباشوات الاتراك الذين لا يفقهون فى امور البلاد الا قولهم : « أن الدواء والعلاج هو الكرباج » وقرر المجلس بالاغلبية تقريبا رفض مشروع قدمته اليه نظارة الداخلية او بالحرى مفتش عموم البوليس الانجليزى يقضى بتعديل لائحة حمل السلاح تعديلا يجعل المصريين عزلا من

الاسلحة مطلقا وهى همة يشكر عليها رجال المجلس .

● لا حديث للبلاد فى هذه الايام - أكتوبر - الاماطليه الانجليز من تعيين مستشار انجليزى فى الداخلية فان ذلك يكون بمثابة وضع اليد على البلاد اذ يكون له اليد الطولى فى تعيين المديرين ووكلائهم ومأمورى المراكز بل وجميع مستخدمى الادارة على العموم ، وبالتالى تكون الحكومة فى جميع اطراف القطر فى ايديهم ولقد استمالوا نوبار باشا الارمنى المحترف لمشروعهم ، وقد كثر تكلم الجرائد فى هذه المسألة ونبهت الافكار اليها ، وكل الاهالى ساخطون على نوبار باشا لقبوله ، الا أن الشائع ان الخديو لن يقبله لكن لا مندوحة عن نفاذه ما دام الانجليز مصرين على ذلك .

● فى ٣ نوفمبر صدر الأمر العالى بذلك فقد تم ما كان يسعى اليه الانجليز للحصول عليه من مدة حتى اتى نوبار باشا الارمنى الخائن المحترف وطلب منهم تنفيذ امنيتهم فعين المستشار وصارت الداخلية برمتها فى قبضة الانجليز ولم يبق عليهم الا تعيين مستشار للخديو نفسه ولا يبعد حدوث ذلك ليتم لهم الاستيلاء الفعلى على مصر ولو لم يضعوا الحماية عليها رسميا ، ولا يمضى قليل حتى نرى الدخلاء الذين ثبتوا فى المديريات بوظائف عالية قد اصبحوا مديرين وهذه هى البطانة الكبرى التى تخشاها الامة اذ أن هؤلاء أضر على مصر من الانجليز انفسهم وقد اشيع ان المستر هورمست سيتخذ له سكرتيرا من هؤلاء الدخلاء يرأس أقلام المالية .

● فى ٩ ديستمبر قيل أن الخديو أبلغ المجلس « مجلس النظار » رسميا أن احدى جواريه المحيظات « اقبال هانم »

حامل الان فى ستة أشهر ، أما ولاية العهد فهى لاخيه البرنس محمد على باشا

وبعد فترة ولدت محظية الخديو التى حملت منه بنتا لا ولدا وعلى ذلك فولاية العهد مستمرة للبرنس محمدعلى باشا حتى يولد للخديو ولد ذكر ، وقد عقد الخديو قرانه عليها وسميت البنت باسم جدتها ..

● قرر مجلس النظار فى ١٠ نوفمبر تعيين لجنة تحت رئاسة فخرى باشا وعضوية ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية والشيخ حسونة للنظر فى مسألة توزيع اوقاف الاشراف على مستحقيها . الا ان السيد توفيق البكرى وضع قاعدة لعزل وتنصيب مشايخ الطرق حتى لا يكون البكرى مستقلا بها يولى من يشاء ويعزل من يشاء فاغتاظ البكرى من ذلك وقدم استعفاءه فلم يقبل منه لرغبة الخديو فى اذلاله واثبات الخيانة والاختلاس عليه انتقاما منه لميله الى الانجليز ومساعدتهم على سياستهم المضرة بمصالح البلاد وقدم محمد توفيق البكرى استقالته كنقيب للاشراف وشيخ مشايخ الاشراف ومشيخة الطرق فقبلت استقالته من نقابة الاشراف فقط وعين السيد عمر مكرم مكانه أما لجنة تحقيق أوقاف الاشراف فمستمرة فى تحقيقها وبعد ذلك صرف النظر عن اللجنة وبقى فى وظيفته بسعى اللورد كرومر ..

● بينما كان نوبار باشا فى ٢٥ نوفمبر بأبعاديته بشبرا ، أجفل ثور فخاف الباشا وتقهقر للخلف ، فسقط على الارض واصيبت احدى رجليه بكسر فى عظم الساق وتقرر لمعالجته ٤٠ يوما ان امتدت حياته لانه مسن

جدا ويبلغ الثمانين ويبعد انجبار الكسر فى مثل هذا السن ..

● صدر أمر عال فى يناير عام ١٨٩٥ بناء على طلب الانجليز بتشكيل محكمة خاصة لكل من يتعدى على الانجليز من الاهالى من المستشار الانجليزى وضابط كبير من جيش الاحتلال وقاض انجليزى من محكمة الاستئناف الاهلية ورئيس محكمة مصر او الاسكندرية تحت رئاسة ناظر الحقانية وتحكم بغير قانون بحسب ما يتراءى لها بأى عقوبة تراها .. ولا تنعقد الا فى احوال استثنائية عند طلب الانجليز بناء على تقرير يقدم من قائد الاحتلال ومن الغريب ان النظار وافقوا على انشائها بالاجماع ولم يراعوا حرمة المصريين ولا احساساتهم . مع ان الانجليز لا يقصدون بهذه المحكمة العرفية الا التنكيل بمن يتظاهر بمعارضتهم خاصة الاعيان والذوات ـ كما فعلوا مع على شريف باشا وزملائه فى مسالة الرقيق ـ كل ذلك ليظهروا بانهم اصحاب الحل والعقد وبيدهم السلطة فى كل الامور (١)

● قرر مجلس النظار فى نفس الوقت اضافة مدرسة دار العلوم الى مدرسة المبتديان لتكون كقسم عال بها وتوفير وظيفة ناظرها ـ ابراهيم مصطفى بك ـ وقد اراد ارتين باشا الغاء هذه المدرسة تقريبا لينتقم من ناظرها

---

(١) فى ٤ مارس ١٨٩٥ احتج مصطفى كامل على انشاء هذه المحكمة تحت عنوان « صواعق الاحتلال » وقد اعتمد الاحتلال على الامر الصادر بتاليف هذه المحكمة وشكلوا والغوا المحكمة المخصوصة التى تولت محاكمة ابناء دنشواى وقضت بالاعدام على حسن على محفوظ ويوسف حسن سليم والسيد عيسى سالم ومحمد درويش زهران . فى عام ٢٧ يونية ١٩٠٦ « المؤلف »

شخصيا . أما غرض الانجليز من الغـائها فهو تضييق دائرة العلم فى مصر لان هذه المدرسة تقوم بتخـريج قضاة شرعيين ، وتلاميـدها يؤخذون من الازهر وهم مشهورون بالمحبة الوطنية والحمية الاسلامية وقصـد اعداء البلاد قتل هاتين العاطفتين الشريفتين من المصريين .

● صدرت ارادة سنية بتشكيل مجلس ادارة للجامع الازهر من ثلاثة من اكبر علمائه والشـيخ محمـد عبده ، القاضى بمحكمة مصر الاهليـة ، والشيخ عبد الـكريم سلمان وكيل الجرائد الرسمية بالداخلية وهما من المشـايخ الذين يرجى للازهر النفع على أيديهم تحت رئاسة الشيخ حسونة النواوى وكيل المشيخة ومأمورية هـذا المجلس وضـع القـواعـد واللـوائح الضرورية للامتحانات واعطاء شهـادات التدريس وكل ما فيـه اصلاح هذه المدرسة القديمة وجعل نفعها أعم مما هو عليه ..

● فى ٢٥ مايو وصل الى الاسكندرية أسطول انجليزى تحت قيادة ميخائيل كولم سيمور ـ وهو خلاف سيمور الذى اطلق المدافع على الاسكندرية عام ١٨٨٢ ـ وهو مؤلف من نحو ٢٠ مدرعة حربية من جميع الانواع وقد احتفل الانجليز بضباط وبحارة الاسطول فاقاموا لهم وليمة فائقة فى المحل المعد للسباق ـ الابراهيمية ـ دعوا اليها الفين من رجال الاسطول ثم اقيم لهم احتفـال فى كازينو سان استفانو بالرمل ..

اما مجىء هذا الاسطول فيقصـد به الانجليـز ارهاب المصريين وايقاع الرعب والخوف فى قلوبهم ولم يتظـاهر المصريون بأى احتفـال بهذا الاسـطول ولم يتظاهروا ضده بل التزموا السكون كما هى عادتهم !! ..

● فى ٧ سبتمبر نظرت قضية التعدى على الخواجة حبيب الانجليزى من بعض رجال عزبة المنتزه وحكمت عليهم محكمة الاسكندرية بالحبس ثلاثة شهور وتأيد فيما بعد الحكم امام محكمة الاستئناف رغم ما فى التهمة من التهويل ..

وفى هذا العام نفسه نظرت قضية الرعاع الذين تعدوا على بعض العساكر الانجليز عند عودتهم من المدفن امام محكمة مصر الابتدائية بصفة استثنائية وأبدت المحكمة الحكم الابتدائى وفى هاتين القضيتين روعى جانب الانجليز اكثر من جانب العدالة ..

وفى ٢١ منه تعدى بعض الرعاع على ثلاثة بحارة انجليز فى بور سعيد ، ونسب لرجل بوليس وطنى انه ساعدهم على ذلك ، وطلبت القنصلية اعتذار الحكومة فأمرت الخارجية وكيل المحافظة لغياب المحافظ بالاجازة بالتوجه الى دار القنصلية بالكسوة الرسمية والاعتذار له فصدع بالامر وتوجه اليها ..

● فى ١١ نوفمبر قدم نوبار باشا استقالته فجاة للخديو فقبلها وعين مصطفى فهمى باشا وابقى جميع النظار فى مراكزهم ولم يعرف سبب استقالته مع تهافته على البقاء فى المنصب ، ويقال أن الخديو اتفق مع اللورد كرومر على اقالته فقبل كرومر بشرط ارجاع مصطفى فهمى باشا . ولما قبل الخديو افهموا نوبار باشا ذلك فاستقال ..

● مع بداية عام ١٨٩٦ ظهر اختلال عظيم فى الجمارك واختلاس أموال كثيرة من الاموال الاميرية بها باتفاق كبار مستخدميها مع التجار ، وخاصة ما يقال ان لمخلع بك وكيل المصلحة وغيره من كبار الانجليز يدا فى هذه

الاختلاسات وأجرى التحقيق ألمسيو ووكس الانجليزى وكيل المالية ، فظهر لهذه المسائل صحة فقـــرر مجـلس النظارة تاليف لجنة عليا لتحقيق هذه الفضائح مؤلفة من المسيو مازوك الفرنسي والمفتش بالمالية ، وجونسون باشا الانجليزى الموجود بالحقانية ، والمسيو نبيرى الفرنسى « مستشار خديوى » بقلم قضايا الحكومة وقد انقسمت الجرائد فى هذه المسألة الى فريقين : فالجرائد التى تدافع عن مصالح الانجليز مثل المقطم تدافع عن الجمارك لان رئيسها انجليزى . وأغلب رؤساء أقلامها شوام ، والفريق الاخر وعلى رأسه صحيفة « المؤيد » ، تظهر فضائحها بدون تحامل بل تقصد اظهار الحقائق ..

● فى ٦ فبراير عام١٨٩٦ احتفل بزفاف كريمةمصطفى فهمى باشا رئيس مجلس النظـار على سـعد زغلول القـاضى بمحكمة الاستئناف وهو من الشـبان الذين وصلوا الى هذه الدرجات العليـا بمحكمة الاسـتئناف بجدهم واجتهادهم فانه من احدى العـائلات المتوسطة بمديرية البحيرة ثم تعلم بالازهر ثم اشتغل بالمحاماة ، واخيرا عين بالاستئناف ..

● فى ١٢ فبراير أقام الخديو حفلة فى سراى عابدين حضرها كثير من الاجانب المسـتخدمين والمسـتوطنين والسياح وكانت ليلة بهيجة وحدث فى اثنائها ان عثمان بك سكرتير نظارة الحقانية أفرط فى شرب الخمـر حتى تقيأ فى الحديقة العلوية على مرأى من كثيرين ، فأنزل من الحفلة وغضب الخديو عليه حتى لم يقابله فى أول شهر رمضان . واجبر على تقديم استقالته فقدمها وقبلت منه ، ثم رؤى تعيينه وكيلا لمحكمة بنى سويف براتب اربعين جنيها فقط واخيرا عدل عن ذلك وصار تعيينه

ثانيا فى نظارة الحقانية وكيلا لاقلام باربعين جنيها فقط مع انه كان من قبل ناظر أقلام بمرتب ٦٥ جنيها .. كان يقبض منها ٥٥ جنيهـا .. وبذلك انتهت هـذه الحادثة التى حزن لها كل محبيه وفرح لها مبغضـوه

● لم يحدث فى شهر أكتوبر عام ١٨٩٦ شىءمن الامور التى تستحق الذكر سوى مسـألة محاكمة صـاحب « المؤيد » لا لقصد اضراره شخصيا بل لقصد اسقاط هذا الجرنال الاسلامى الذى صار له صوت لا فى مصر فقط بل فى العالم الاسلامى اجمع . وذلك ان السردار أرسل تلغرافا لناظر الخزينة فى شـهر يونيـة يختص بالحملة وصحة أفراد الجيش نشر المؤيد صورته واتهمت السكة الحديد أحد مستخدميها باعطاء صـــورة من التلغراف لجريدة المؤيد ولكنـــه لم يعترف لا عن نفسه ولا عن المؤيد . وبعـــد التحقيق أصـــدر ناظـــر الحقانية امره بحفظ القضيـة بالنسبـة للشيـخ على يوسف « المؤيد » ورفعها على موظف التلغراف وبعد أن ارسلت الأوراق لنيابة محكمة عابدين الجزئية طلبها جونسون باشا الانجليزى المفتش بالحقانية وأمر باجراء تحقيق تكميلى بمداولة جديدة ضد صاحب « المؤيد » ولم يعارض الناظر الذى سبق أن أمر بحفظهـا ، وبعد تحقيق لم تخرج القضية عن مركزهـا الاصـــلى ثم ظهرت الايدى العاملة على ادانة الشيـخ على يوسـف زورا ، واتضح من التحقيق ان ملحم بك رئيس قلم المخابرات بالحربية اغرى بعض الشهود بالشهادة ضد الشيخ على يوسف ووعدهم بالمكافاة ومع ذلك أمرت النظارة ــ او بالحرى ــ جونسون باشا ــ برفع الدعوى على الشيخ على يوسف بصفته شريكا .. وتحدد لنظر

الدعوى يوم الاربعاء القــادم والعموم ينتظرون الحكم بفارغ الصبر ..

وفى نوفمبــر عام ١٨٩٧ بدأت المرافعــة فى قضيــة النيابة ضد صاحب « المؤيــد » ، وتوفيق كيرلس كان ابراهيم الهلباوى مدافعا عن توفيق كيرلس والسيــد احمد الحسينى بك عن الشيخ على يوسف وعلى افندى توفيق وكيل النيابة مدعيا عموميا ـ وقد اتى المحاميان فى هذه القضية من ضروب البلاغة وقوة الحجة ما اثر على الحضور ، وكان الحاضرون كثيرين حتى غصت قاعــة الجلسة وفناء المحكمة وانتشر الباقون فى الشـــوارع القريبة من المحكمة وحضر كثيرون من اعيــان الاقاليم ونشرت المرافعة حرفيا فى « المؤيد » الذى طبع مرتين يوم الاربعاء .. وفى الختام نطق القاضى محمود خيرت بك بالحكم على توفيق كيرلس بالحبس ثلاثة شــهور فى تهمة افشاء تلغراف الحربية وببراءة الشيخ على يوســف ... فصـــفق جميع الحاضرين بالمحكمــة والشوارع وحمل بعضهم الشيخ على يوسف على الاعنـــاق الى ان اوصلوه الى عربتــه .. ولا تســل عمــا لحق بالمحتلين واشياعهم من الخزى على هــذا الخذلان وقد حضر ناظر الحربية عنانى باشا بصفته شاهد نفى اعلنه المحامى عن كيرلس وحضر المرافعة كثير من وكلاء النيابة والقضــاة وبالجمــلة كاتب هذه الاحــرف فزاد هــذا التجمهر ، وطلب الانجليز من النائب العام فى ١٨ الجارى نقلى الى احدى المحاكم الــكلية ، فصــدر الامر وطلب من الحقانية نقلى الى نيابة بنى سويف وجاء التصـــديق فى صباح الخميس ١٩ منه . ولما علمت به صممت على الاستقالة من وظيفتى وعدم قبول هــذا النقل المقصود

به أهانتي والتأثير على عواطفى واحساساتى الوطنية..

ولما توجهت يوم السبت الى نيابة الاستئناف بلفت ما تقرر رسميا فقدمت استقالتى الى النائب العام وجنابه استحسن ابقاءها طرفه الى يوم الاحد ، ربما اعدل عن فكرى مع انى اخبرته بتصميمى على ذلك قطعيا . وفى يوم الاحد توجهت اليه واخبرته باصرارى فكتب على الاستقالة للنظارة وقد أجابت بالقبول فى اليوم نفسه وبذلك تخلصت من خدمة الحكومة التى لا تقبل الا كل خاضع لاوامر الانجليز ميت الاحساس غير شريف العواطف ..

● أشاع أشياع الاحتلال عن محمود بك خيرت انه أفشى الحكم قبل صدوره الى كاتب هذه السطور وهى اشاعة وكذب محض وافتراء دنيء وذلك لاغاظتهم بصدور الحكم بالبراءة بخلاف ما كانوا يتمنون وقد استحسنت جميع الجرائد المعروفة بعدائها للانجليز الحكم ، واستأنفت النيابة حكم محمود خيرت بك قاضى عابدين ، ويخشى العموم ان تحكم محكمة الاستئناف بما يطمئن رقبات المحتلين بعد هذه التهديدات والوعد والوعيد وما اصابنى من النقل الذى اعقبه الاستقالة ..

وفى اول ديسمبر اقيمت قضية النيابة ضد صاحب « المؤيد » امام محكمة الاستئناف وتأخرت الى ١٥ يونيه وكان منذ أيام قد تم نقل خيرت بك قاضى محكمة عابدين الى المحكمة الكلية بدعوى أن النظام فى جلسة محاكمة صاحب «المؤيد» كان مختلا - وان مصطفى كامل الوطنى جلس « فى مكان بارز مخصوص » ونقل خيرت بك ليس الا انتقاما منه لحكمه العادل ..

جاءت قضية النيابة ضد صاحب « المؤيد » امام

محكمة الاستئناف العليا اول ديسمبر وكانت الجلسة مؤلفة من على ذو الفقار بك بصفتـه رئيسا ويوسف شوقى بك والمستر كاميرون الانجليزى وتأجلت الى يوم ١٥ الجارى وفى هذه المدة كانت جريدة « المقطم » تكثر من التهديد والوعيد وتصف حكم محكمة عابدين بكل قبيح وسفيه .. وكذلك فعلت الجرائد الانجليزية بمصر .. ومع ذلك فقد حكم فى اليوم المذكور ببراءة كيرلس من الحكم الابتدائى وتأييد البراءة بالنسبة للشيخ على يوسف ، وكان الحاضرون كثيرين فحملوا صاحب « المؤيد » وزميله على الأعناق الى باب المحكمة وحدثت مظاهرات بجميع مدن الارياف انتظارا « للمؤيد » وأتت اليه تلغرافات من كل فج وقد حدث أثناء المداولة أن كان القاضيين الوطنيين فى جانب البراءة ضد القاضى الانجليزى فثار هذا وكلمهما بعنف واتهمهما بأنهما حضرا الحكم قبل الجلسة بايعاز من الخديو .. واشتد الخلاف حتى امتنع القاضى الانجليزى عن حضور تلاوة الحكم ، ولولا حضور بليغ يونس باشا رئيس الاستئناف لظهر الامر فى نفس اليوم فقد اقنع الانجليزى بضرورة الانصياع للاغلبية فخرج وحضر التلاوة رغم أنفه وقد رفع القاضيان الوطنيان شكواهما الى نظارة الحقانية وبلغت المسألة مسامع الخديو فتكلم مع المستر سكوت وتدخل اللورد كرومر فى الامر ، وأخيرا ألزموا القاضى الانجليزى بالاعتذار لزميليه وطلب الاجتماع معهما وقد تم ذلك الاجتماع يوم السبت ١٩ الجارى بحضور بليغ باشا وانتهى الامر ، لكن لم يزل المقطم الكذاب ، ينذر محكمة الاستئناف بحصول تغيير هام فى العام المقبل ، ولا يبعد أن الانجليز انتقموا من القضاء الاهلى على عدم

انصياعه لاغراضهم ... وقد تأكد ان القاضيين الوطنيين كانا قد طلبا عقد الجمعية العمومية لمحاكمة القاضي الانجليزى «كامرون» على افشائه أسرار المداولة وتعديه بالقول على زميليه فاحتار سكوت وخشى عاقبة الامر وأراد الاستقالة ان لم يسحب القاضيان طلبهما فتدخل بليغ باشا رئيس الاستئناف وناظر الحقانية والحا على القاضيين بكل شدة حتى سحبا الطلب وبعد ذلك تردد ان الانجليز سيزيدون عدد القضاة الانجليز فى محاكم الاستئناف لتكون الأغلبية لهم لو أرادوا الانتقام من أى انسان ..

وفى ٢٧ ديسمبر قرر مجلس النظار تعيين ثلاثة قضاة اوربيين فى المحكمة الاستئنافية كما سبق القول وبدأ انتقام الانجليز من هذه المحكمة لعدم حكمها ظلما على صاحب « المؤيد » الذى كان مقصودا فى قضية التلغرافات لشخصه بالذات بل لمبدئه وغايته ..

● فى يوم الاحد ٢٠ ديسمبر قدمت لجنة مجلس شورى القوانين المعين لفحص ميزانية الحكومة عن عام ١٨٩٧ تقريرها لهيئة المجلس وكل التقرير انتقاد وتقريع بغاية الحكمة ، ولاسباب معقولة جدا وجاء فيه بمناسبة المبلغ المخصص لجيش الاحتلال « ان الجيش المصرى قد صار كفؤا لحماية مصر فى الداخل وفى الخارج ولذلك لا يرى المجلس لزوما لوجود جيش اجنبى فى البلاد ويعتبر هذا القرار بمثابة احتجاج ضد الاحتلال » وأرسل هذا التقرير للحكومة فردت عليه بخطاب كله خروج عن حد الاداب حرره المستشار الانجليزى والنظار وأمضاه مظلوم باشا ناظر المالية .. ولقد اثر هذا الرد الوقح تأثيرا سيئا جدا عند العموم حيث

ظهرت فيه الحكومة بمظهر العداء للأمة المصرية غير مبالية بسخطها ما دام الانجليز راضين عنها ..

● ابتدأ عام ١٨٩٧ الميلادى والحكومة على ما رأيت من الانحطاط والنظار مستسلمون للانجليز يكتفون بقبض الرواتب والامة تئن تحت وطأة الاجانب والجرائد الوطنية تدافع بقدر الامكان ومجلس الشورى يظهر عدم رضاه عن هذه الحالة والحكومة تظهر له الجفاء والعداء وتغلظ له القول ..

وحالة أوروبا لاتسمح بمساعدتنا للوقوف ضد الاحتلال والحال سائر من ردىء الى أردأ ... نسأل الله حسن الختام ..

● من أهم ما حدث فى النصف الاول من فبراير عام ١٨٩٧ منع النظار الاخبار عن الجرائد المعارضة للحكومة وهى « المؤيد والجورنال اجبسيان والاهرام ، والاهالى » لانتقادهم أعمال الحكومة ، وكان هذا المنع بايعاز من جورست مستشار الداخلية فانظر الى أى درجة من الصغار وصلت الحكومة ..

● فى يوم الاربعاء نظرت القضية التأديبية التى رفعتها الحقانية ضد على افندى كامل وكيل النيابة أمام محكمة التأديب العليا وموضوع الدعوى ان لعلى أفندى تركة فى عزبة فى مديرية القليوبية وحصل بينه وبين شركائه نزاع أدى لطرد بعض السكان الزراعيين ولوجود ضغائن قديمة بينه وبين جونسون باشا الانجليزى اراد انتهاز هذه الفرصة للايقاع به لكن لم توافقه اللجنة العليا على رغبته بل قررت « بأن ما حصل منه لا يحاكم عليه أمام محكمة التأديب لانه لم يحدث منه اثناء تأدية وظيفته » ولما رأت الحكومة « العادلة » أن هذه اللجنة

لم تحكم لها ، وانها ضمان لرجال النيابة ضد استبداد الانجليز وضعت الحقانيــة مشروعا بتشـكيل مجلس تأديب آخر لرجال النيابة ..

● انعقد مجلس التأديب الذى أنشيء حديثا لمحاكمة وكلاء النيابة للحكم ثانيا على « على افندى فهمى » وكيل النيابة مع ان المحكمة التأديبية العليا حكمت ببراءته ، ولكن أراد ذلك جونسون باشا فكان ما أراد ووجد من اخواننا المصريين سامحهم الله آلات صماء لتنفيذ اغراضه وحكم المجلس مع عدم اختصاصه بعزل على افندى من وظيفته واستأنف على افندي الحكم ولا بد من تأييــده ما دام جونسون باشا يطارده ..

وفى النصف الثاني من فبراير عام ١٨٩٧ حكمت محكمة التأديب الاستئنافية الجديدة على على افنـدى فهمي طريد جونسون باشا بتأييد الحكم الابتدائي ولا غرابة فى ذلك حيث ان هذه المحكمة لم تنشأ الا لرفت هـذا الشاب . وقد قيل ان المجلس كان منقسما فى هـذه المسألة ويؤيد ذلك تأخير الحكم بضعة أيام ، والمعروف أن رئيس الاستئناف بليغ باشا والنائب العمومى حمد الله بك كانا فى صالح على افندى وامين باشا سيد احمد واحمد موسى بك مندوب لجنة المراقبة كانا ضـده ثم تذبذب مندوب قلم القضايا وهو المسيو برناردى الايطالى ... واخيرا استسلم لمشورة الانجليز وانضم لفريق الادانة فكان ما كان ..

وكذلك احيل محمد بك القاضي بمحكة الاسكندرية الى مجلس التأديب ، لكن امام محكمة الاســـكندرية الاستئنافية بصفة جمعية عمومية ونسب اليه ارتكاب الرشوة واحيل أيضا أنطون بك القاضى ببور سعيد ونسب اليـه

ارتكاب التزوير فى محضر جلسة للوصول الى تبرئة متهم ولا بد ان يتخذ الانجليز هذه المسالة ذريعة الى زيادة عدد القضاة الانجليز فى جميع المحاكم الاهلية ، خاصة وقد قال مستر سكوت ذلك فى تقرير له ...

● واهم ما حدث فى النصف الاول من شهر مارس عام ١٨٩٧ تعيين المستر دنلوب الانجليزى الموظف بنظارة المعارف سكرتيرا عاما لها وبذلك سقط نفوذ ارتين باشا الارمنى وأهمله الانجليز بعد أن استعملوه عدة أعوام فى اخلال نظام المدارس وجعل التعليم والتربية من آلات نشر النفوذ الانجليزى وكانت باكورة اعماله ان قدم مشروعا بتعديل التعليم الانجليزى تعديلا مضرا فجعل مدة التعليم ثلاث سنوات بدلا من خمس سنوات ، وجعل تعليم الرياضيات باللغة الاجنبية ـ الفرنسية أوالانجليزية ـ بحيث صارت اللغة العربية هى اللغة الاجنبية بالمدارس المصرية ولا ينتظر غير ذلك من أمة محتلة ، صالحها فى نشر لغتها ولا بد من الوقت لجعل تعليم اللغة الانجليزية اجباريا .. ولا خلاص من سوء هذه التربية الا فى هجر مدارس الحكومة وانشاء مدارس أهلية لتعليم أولادنا وتربيتهم التربية الوطنية الحقة ..

● فى ٢٩ من مارس انعقد مجلس النظار تحت رئاسة الخديو وقد صادق على ما طلبه الموظفون الانجليز فى نظارة المعارف من تنقيص التعليم فى المدارس الثانوية من خمس سنوات الى ثلاث سنوات فقط فتنقص مواد التعليم الى درجة يخرج منها التلميذ لايحسن أى علم . ولابد ان يكون الخديو تألم كثيرا من تقرير هذه المشروعات لكن ما الحيلة وما العمل والنظار خائنون لا هم لهم الا مرضاة الإنجليز ولو كان فى ذلك خراب البلاد ..

● نشر « المؤيد » صورة خطاب مرسل من الوطنى الصادق مصطفى افندى كامل الى المستر غلادستون زعيم الاحرار السابق فى انجلترا ردا على الخطاب الذى أرسله اليه المستر المذكور الى مصر فى اواخر يناير وكان ايضا ردا على خطاب مصطفى كامل وقد ذكره مصطفى كامل فى خطابه الاخير بما أتاه فى صالح الارمن وطلب منه ان يخطب فى صالح مصر ، كما خطب فى صالح الارمن خصوصا وانه اعترف فى خطابه الاول ان زمن الجلاء حان منذ أعوام .. وقد خطب مصطفى كامل بالاسكندرية خطبة وطنية نشرها « المؤيد » بنصها وملخصها وجوب الاتحاد فى العمل وتذكير الانجليز بوعودهم والاستعانة بأوربا والاحتراس من الدخيل الذى هو أضر من المحتل ..

● فى ١٥ ابريل خطب الشاب مصطفى افندى كامل خطبة شائقة باسكندرية باللغة الفرنسية فى تياترو زيزينا وحضرها كثير من أعيان الاجانب على اختلاف اجناسهم وأديانهم ..

وبهذه المناسبة نذكر ما حدث لاخيه على فهمى كامل الملازم اول من الاضطهاد انتقاما من اخيه وذلك ان على فهمى المذكور كان قد أحيل على الاستيداع لا لذنب جناه بل لأنه أخو مصطفى كامل ، وقبل عيد الفطر قدم استقالته للسردار ليبحث عن وظيفة غير عسكرية وعقب ذلك ظهر امر الحملة المصرية فاسترد استقالته لكن ادعى عليه الانجليز انه قدم استقالته هربا من الخدمة العسكرية وقت الحرب فأحالوه للمحاكمة أمام مجلس عسكرى ، وحكم عليه المجلس العسكرى بتنزيله

الى درجة نفر وسجنه عامين بالسجن الحربى ، وقـد ارسل على هذه الحال الى الحدود ..

● فى مساء ٤ مايو سـافرت على الباخـرة الفرنسية Legale الى مرسيليا لقضاء الاجازة باوربا والاستجمام بمياه فيشي طلبا للصحة ومكثت بمدينة فيشى الى ١٨ يوليو .. أى أقمت بها شهرا وكان العزم على الاقامة ثلاثة اسابيع فقط .. لـكن حـدث فى ٨ يوليو انى سقطت من على البسكليت فحـدث لى رض شـديد فى قدم الرجـل اليسرى الزمنى الفـراش عشرة أيام وبعـدها قصـدت باريس وكان برجلى عرج اخـذ فى التناقص .. ولما سافرت من باريس الى جنيف لزيارة معرضها الوطنى قضيت بهـا ليلتـين بيـومين .. وفى يوم الخميس ١٣ اغسطس ابحرت من مرسيليـا وكان معى فى هذه الرحلة اخى وزميلى احمـد افندى لطفى السيد مساعد النيابة العمومية وكان عزمى عند سفرى ان ازور برلين وبودابست عاصمة المجر لزيارة المعرض المقـام هناك ، ولـكن عاقنى عن تنفيـذ هـذا العزم العارض الم برجلى ومع ذلك لم اقطع العشم من زيارتها فى المستقبل ولم يحدث أثناء رحلتى شىء هام لسـفر رجال الانجليز الذين لا ينفذ مشروع الا برأيهم

● وفى نوفمبر عام ١٨٩٦ سافر مصطفى أفندى كامل من باريس الى برلين لمحادثة أرباب الجرائد بها وتفهيمهم حقيقة مركز الانجليز بمصر واعمـالهم ، وان المصريين غير راضين عنهم وقد نشرت الجرائد أقواله وقـد أثر مصطفى كامل تأثيرا حسنا فى هاتين المملكتين وسيعود الى مصر فى منتصف نوفمبر عن طريق الاستانة ساعده الله على نجاح أعماله ..

● كتب الشاب الوطنى مصطفى كامل رســـالة الى جرائد المانيا بتاريخ ٢٧ ينـاير المـاضى ، وهو تاريخ ولادة الامبراطور غليوم يستحث الامة الالمانية على الاخذ بناصر مصر والاتحاد مع فرنسـا وروسيـا لتحريرها

وقد نشرت هذه الرسالة فى جرائد المانيا ونشرت ترجمتها جريدة « المؤيد » فى ١٥ فبراير .. اكثر الله من أمثال هذا الشاب ووفقنا جميعا لخدمة البلاد ..

***

ونظرة سريعة الى حوليات محمد فريد ـ أو يومياته ـ تؤكد لنـا هـذه الحقائق التى اوضحت كثيرا من الجوانب فى شخصية محمد فريد ..

١ ـ حرص محمد فريد على التزام الصدق فى كل ما يكتبه وعدم الاهتمام بشخصه على الاطلاق الا فيما يتعلق بالمسائل العامة التى تلتصق به ..

٢ ـ اهتمام محمـد فريد بالمسـائل الاقتصـادية وكتابته عن الميزانية كتابة خبير مدقق ، ثم اهتمامه بالشركات الاجنبية التى استولت على الاقتصاد المصرى ـ بعد الاحتلال البريطانى ـ شيئا فشيئا وكذلك شرحه الوافى لكثير من مؤامرات هذه الشركات ..

٣ ـ اعطى محمد فريد ـ ولو فى نطـاق ضيق ـ اهتماما خاصا بالفلاحين كمسالة فك الرهون ، وكذلك مشاكل العمال كتتبعه لاغتصاب العمـال « أى اضرابهم والحديث عن مشاكلهم ..

٤ ـ تعتبر يوميات محمد فريد سجلا قضائيا ربما كان الوحيد من نوعه حيث حرص محمد فريد ـ وكيل النائب العام ـ على تتبع كل المسائل القضائية وكل ما يتعلق بالعاملين فى الحقل القضائى ..

٥ ـ أهتمام محمـد فريد بالاختـراعات والصحف الاقليمية والعلمية ..

٦ ـ لم تخـل مذكرات محمـد فريد من الاهتمام بالمسـائل الخفيفة كمباراة كرة القدم ، أول مبـاراة من نوعها فى مصر بين طلبة الخديوية وطلبة التوفيقية .. وكذلك اهتمامه بعيد المساخر « الـكرنفال » وابطال الرقص ، وضريبة الحشيش .. و .. و ..

٧ ـ لم يمنع محمـد فريد اختلافه الشـديد مع الوزراء من ان يذكر لهم بعض الاعمال الطيبة التى قاموا بها ..

٨ ـ كان قلم محمد فريد فى بعض الاحيان قاسيا وعنيفا عند تناوله بعض الناس ووصفهم ببعض اوصاف تدخل تحت طائلة قانون العقوبات .. وهذا يؤكد حدة قلم محمد فريد وقسوته فى بعض الاحيان ..

٩ ـ كما أهتم محمد فريد باضراب العمال ، اهتم باضراب الجرازين ـ القصابين ـ ومناقشـة قضيتهم مناقشة موضوعية ..

١٠ ـ اهتم محمد فريد بتتبع كثير من الشخصيات الهامة كمصطفى كامل وقاسم أمين وعبـد الله نديم وسعد زغلول والشيخ على يوسف ..

١١ ـ اهتم محمد فريد بمسـائل التعليم وناقش فى أكثر من مرة سياسة الاحتـلال البريطانى فى التعليم ، وأعطى الشيخ على مبارك حقه من المدح والثناء عندما كان وزيرا للمعارف ..

١٢ ـ تعتبر يوميات محمد فريد مرجعا تاريخيا هاما للفترة ما بين ١٨٩١ ـ ١٨٩٧ ، وهى من اظلم فترات تاريخ مصر .. وتؤكد الدلائل ان المذكرات الخاصة بالفترة

التى تلت اليوميات التى عثرنا عليها قد اختفت تماما ولم يعرف بعد اين مصير الكراسات المختفية .. هل استولى عليها البوليس فى اعقاب تفتيش منزله اكثر من مرة ؟ هل حملها محمد فريد الى الخارج وضاعت ضمن بعض الاوراق الهامة الخاصة بمحمد فريد والتى كان مصيرها الضياع .. على اية حال فان هذه اليوميات جديرة بدراسة المؤرخين والتعليق عليها بعد دراستها دراسة مستفيضة ..

محمد فريد
يقود الحركة الوطنية المصرية

كانت سلطات الاحتلال البريطاني فى مصر تعتقد ان الحركة الوطنية التى بعثها مصطفى كامل ودفعها الى القوة والنضج بل والعنف خليفته محمد فريد لا يمكن ان تصل ــ مهما بذل لها الشعب من تأييد ومعاونة ــ الى الدرجة التى تهدد الاحتلال نفسه فى كيانه ووجوده ، وقد كان كرومر ، لدكتاتوريته العنيفة وشدته ، وسطوته وغطرسته ، يعتقد انه ما دامت القوات البريطانية معسكرة فى قصر النيل والقلعة والتل الكبير وبورسعيد والاسماعيلية ، فلن يضيره ولن يخيفه فى الوقت ذاته هياج الفاضبين ولا مقالات الثائرين ولا مظاهرات الشباب .. وكان كرومر قد اعتمد على طائفة من الحكام ، والمستوزرين ، برعوا فى فهم اسلوبه فى الحكم والعمل لبريطانيا ضد مصر . وكان هؤلاء الذين اختارهم كرومر ، بدقة الخبير ، وروية السياسى الداهية ، وبعد نظر الاستعمارى العتيد عند حسن ظن كرومر بهم . فلم يخرج منهم على الخط الا واحدا او اثنين طوال ربع قرن من الزمان ، وكانت سياسة كرومر مع الحاكم الشرعى وشدته وتهديده باستعمال القوة عند اللزوم قد اجبرت عباس حلمى الثانى ــ فى الاعوام الاخيرة من حكم كرومر ــ على الا

يتحرك الا بمقدار ، فلا يتقرب الى الوطنيين خطوة الا اذا تقدم من المحتلين خطوات .. غير ان سياسة كرومر فشلت في دنشواى ، وخان الرجل الذكى ذكاؤه كما خانته سياسة استخدام القوة ، اذ وجد نفسه فجأة وهو الذى كانت الامبراطورية البريطانية قد اعطته سلطة مطلقة ينفذ بها ما يريده فى مصر ، وجد نفسه وقد تم سحب بساط الحكم من تحت قدميه واصبح لا حول له ولا قوة .. اما السير الدون غورست — خليفة كرومر — فقد كان رجلا آخر تماما ، كان مستشارا ماليا فى الحكومة المصرية وكان مساعدا لكرومر فى تنفيذ سياسته المالية ، وكان على علم تام بما يجرى فى مصر . ولهذا فقد كان من السهل عليه ان ينفذ المخطط الذى وضعته السياسة البريطانية — فى لندن — وهو محاولة استرضاء الخديو عباس حلمى الثانى الذى تبين لبريطانيا انه لا يهتم بمظاهر الحكم ولا بأبهته ، بل كان اهتمامه بجمع المال بكل الطرق والاساليب ، وكانت التعليمات التى تلقاها غورست هى ان يعمل على تلبية كل مطالب عباس حلمى المالية بشرط ان يسير — بادب — فى الخط المرسوم له وأن يتجنب التقرب الى الوطنيين !! واشترك مع غورست فى تنفيذ الخطة لفيف من الخبراء فى الشئون المصرية استعان بهم غورست فى حكمه مصر وقد ادت الخطة الجديدة الى هدفين متباينين تماما ، فهى قد عملت على تقوية الحركة الوطنية بعد ان فقدت تماما كل ما كان يربطها بالخديو وانصاره وهى قد اندفعت نتيجة للقيادة الجديدة التى كانت تحتقر الخديو وأساليبه ، وترى ان الخديو اذا عمل مع الوطنيين أم مع الانجليز

فهو نكبة على الحركة الوطنية !! وفى الوقت نفسه
ادت الخطة الجديدة الى حدوث نوع من الانقسام
الخطير بين صفوف الشعب اعاق مسيرته فترة قصيرة
من الزمن ، كما أعاق الرؤية بالنسبة لكثير من أبنائه
فترة أطول ! !

على ان الخديو عباس حلمى الثانى لم يكن - وهذه
شهادة له - رجلا غبيا دائما .. كان يعرف ان انجلترا
تريد ان تضرب به الوطنيين لتقوم بعدئذ باذلاله فيكون
عبدا ذليلا يسير بلا عقل ، ولا روية ، ولا معارضة فى
الخط الاستعمارى البريطانى ، وكان يعرف أن مصيره
فى ظل الخطة الجديدة التى جاء بها غورست ان يكون
ظلا للحاكم البريطانى يحمل اسم الخديو ويحمل
الحاكم البريطانى السلطة التى للخديو ولم يكن عباس
حلمى الثانى يريد ذلك وانما كان يحن - بين حين
وآخر - الى الانفراد بالسلطة ، كان يريد أحيانا أن ينفك
من القيود الحريرية التى وضعها غورست بدون أدب
واحترام وخضوع فى يديه . كان يريد أن يكون موضع
« مزايدة » باستمرار فاذا ما عرض الاحتلال شراءه
برقم معين عرض نفسه على الشعب لامكان شرائه
بضعف هذا الرقم ! ! ولهذا كان يحلو للخديو عباس
حلمى الثانى أن يتخلص بين حين وآخر من قيود
السياسة البريطانية للحصول على مزيد من المال
فيتقرب الى الشعب ثم يحاول من جديد ان يضرب
الشعب ويتقرب الى المحتلين وهكذا .

والحديث عن غورست وعباس يقتضى الاشارة الى
الرجل الثالث الذى كان يحكم مصر فى الوقت الذى
يحمل فيه الخديو عباس حلمى لقب الخديو وفى الوقت

الذى يحمل فيه غورست سلطة الخديو الى جانب لقب المعتمد البريطانى ، كان هذا الرجل هو محمد فريد ، ومحمد فريد كان يحكم مصر بالحب والايمان والتضحية . كان الرجل عنيفا جدا ، ومن أسرة عريقة جدا ، وكانت كل الظروف الطبيعية العادية تدفعه الى

ان يكون مع غورست او مع الخديو ليصبح رئيسا للوزراء او ليصبح لو اراد أكثر من رئيس للوزراء .. ولكن الرجل بطبعه وثقافته وتاثير جولاته فى أوربا واتصاله بالافكار الحديثة فى الخارج كان شيئا آخر..

لا يريد سلطة ولا مالا ولا جاها ، لا يريد الا ان يخدم شعبه فى الطريق المستقيم وبالاسلوب المستقيم أيضا ، ولهذا اختلف مع الخديو من اليوم الاول لتوليته قيادة الحركة الوطنية المصرية ..

كتب محمد فريد فى مذكراته يقول :

ــ من يوم وفاة مصطفى كامل ابتدأ الخديو يدس دسائس لانتخاب رئيس يكون طوع امره ، ليستعمله فى أموره الشخصية وليحارب به الانجليز فأرسل رجاله فى الجنازة والمأتم وحتى الشيخ على يوسف عدو مصطفى والمنافس له فى جميع أموره حضر المأتم فى الليالى الثلاث الاول وكذلك عرفى باشا ورجاله أيضا ، واخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحى أو عرفى باشا ، وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه .. كل هذا لم يفد ..

وفى يوم انعقاد الجمعية العمومية التى كنت دعوتها يوم ١٤ فبراير ، أى بعد الوفاة بأربعة أيام ، انتخبت بالاجماع ، وممن لعبوا دورا هاما فى هذه المسألة ــ بايعاز الخديو ــ على بك فهمى كامل فانه كان يريد

أن ينتخب بصفته أخا للفقيد وجهز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ووزعها على بعض الحاضرين وادخل فى الاجتماع الكثيرين من غير الاعضاء بواسطة من وضعهم عند الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بناء على خطاب كان كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى رئيسا لو فاجاه القدر المحتوم ..

كان رجال الخديو ، أثناء هذه الحركات يترددون على على فهمى أخو مصطفى كامل ويشجعونه على السعى فى أن ينتخب واعدينه بمساعدة الخديو المادية والادبية ، وهو ، (١) وكان يميل الىوساوسهم،ولكنهخاب

يوم انتخابى طلبنى الخديو عباس الثانى بالتليفون فتوجهت الى سراى عابدين بعد الظهر فقابلنى على الفور وهنأنى بكل لطف مؤملا الخير الكثير من وجودى فى مركز الرياسة من عبارته لى هذه الجملة أو معناها :

— ان وجود مثلك على رأس الحركة الوطنية مفيد جدا ، لانك لست محتاجا ولا طالبا للمال ولانك من عائلة خدمت البلاد ، ووالدك كان مشهورا بالعفة والصدق والاخلاص ولا يمكن للانجليز ان يقولوا عنك بانك طالب شهرة أو مال أو وظيفة .. الخ . هذه العبارات اللطيفة .. ثم سألنى عن حالة الجرائد ، فأخبرته بأنها ستسير باذن الله ، واننا وضعنا نظاما يساعد على بقائها ، ثم عرض على استعداده للمساعدة

(١) هنا عبارة امتراضية وردت فى مسودة المذكرات ولكن محمد فريد اسقطها عند اعادة كتابتها وهى « وهو لطمعه وحبه للمال ».

بالمـال فرفضت حتى لا أكون أسـيره وطوع أمره .. وانصرفت ..

رأى الرجل عقب ذلك بانى لست ممن يطيعون اوامره اطاعة عمياء فاخذ يدس الدسائس لاسقاطى من جهة ، ويظهر لى التودد من جهة اخرى ..

ويمضى محمد فريد فى مذكراته قائلا :

ـ وفى ٢٩ ابريل عام ١٩٠٨ خطبت أول خطبة لى كبيرة فى مسرح الشيخ سلامة بشارع الجنينة البحرى وكان لها تأثير شديد وفى هذه الفترة شرعنا فى الحصول على امضاءات بطلب المجلس النيابى التام وكانت خطبتى فى هذا الموضـوع واثرت كثيرا حتى اننا جمعنـا نحو خمسة وسبعين الف امضاء وكان الشروع فى هـذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى اذا سافر الى انجلترا تكلم مع الملك ادوارد واظهر له ان الامة طالبة الدستور وانه يرى اعطاءها اياه لانه من حقوقها ..

وفى مايو عزمت على السفر الى اوربا وقابلته قبـل السفر بيومين ودار بينى وبينه هذا الحديث :

الخديو : ما الذى عزمت عليه ياسى فريد ؟

فريد : سأسافر لاوربا وأسير فى طريق مصـطفى كامل حتى لا يقال ان الحركة ماتت بموته ولأظهر للعالم الاوروبى ان حركتنا قوية لا تقوم بقيام شخص ولاتسقط بموته ..

الخديو : عظيم ، عظيم ، سافر نجح الله مقاصدك

فريد : سأسافر ان شاء الله وانما أطلب من أفندينا الا يعاكسنى فى مساعى والا يرسل من خلفى من يسـعى ضدى أو يعرقل مسعاى كما فعل افندينـا فى العـام الماضى حيث ارسل حافظ عوض وأباظة باشا والشيخ

على يوسف الى لندن لمعاكستى ..

الخديو : لا والله ياسي فريد لا تخف، مصطفى نوع وانت نوع ، ومع ذلك فانا لم ارسل حافظ عوض فى العام الماضى ..

فريـد : ان أمر ارسـاله مثبـوت وانك اعطيتـه ثلاثمائة جنيه مصاريف سفره ..

الخديو : « لا والله مائة وخمسين جنيها فقط » ، ثم تلعثم وتغير لونه فقمت وانصرفت مودعا .. وكلمته فى أمر عرائض طلب المجلس النيابى فامرنى بتقديمها الى ديوان الخديو فقدمتها قبل سفرى الى شفيق باشـا بخطاب رسمى من الحزب ذكرت فيه ان هذا التصريح بناء على أمر الخديو .. »

وتحدث محمد فريد عن الوفد الذى ارسله الخديو الى لندن للاتفاق مع الانجليز « على أعطائنا دسـتورا صغيرا فى مقابل قتل حركة الحزب الوطنى والاعتراف ضمنا بالاحتلال الانجليزى وقال ان هذا دليل على عدم اخلاص الخديو ..

ويقول محمد فريد :

ـ سافرت أنا من باريس الى لندن واقمت بها بضعة أيام وزرت المستر بلانت وقابلنى ربرتسون من أعضاء مجلس النواب والمستر بريلسفورد مدير جريدة الديلى نيوز البريطانية ، وتناولنا الغداء معا فكلمونى فى ضرورة السـكوت على الاحتـلال وعدم المطالبـة بالجلاء وهم يساعدوننا على نوال ما نطلب من الاصـلاح الداخـلى والدستور فرفضت طبعـا لثقتى انها خدعة يراد بها اسقاط الحزب من اعين الامة فيصـبح آلة فى يدهم كحزب الامة أو كحزب الحكومة ..

بعدها سافرت الى ادنبره حيث اقمت يومين اقام لى الطلبة المصريون مع الجمعية الاسلامية حفلة حضرها اللورد حاكم المدينة وخطبت فيها بضرورة الجلاء حتى تصبح الامة المصرية صديقة للأمة الانجليزية تكون معها لا عليها اذا قامت بينها وبين دولة أخرى حرب عظمى

● وفى ١٤ سبتمبر عام ١٩٠٨ خطبت خطبة بالقاهرة بمناسبة تاريخ دخول الانجليـز مصر .. وفى مسـاء اليوم المذكور قصدت الزقازيق مع بعض رجال الحزب لحضور احتفال آخر فتظاهر الاباظية ضـدى بالمحطة وارادوا منع الاحتفال فمنعهم البوليس وتم الاحتفـال وخطبت فيه خطبة صغيرة .. وفى الصبـاح قصـدت بلدة أبو كبير مع اسماعيل بك لبيب واخيه عبد الله بك طلعت وقضينـا اليوم هنـاك ثم عدنا فى المسـاء الى القاهرة وكانت نتيجة رفض الاتفاق مع الانجليز وطعنى على الوفد الاباظى غيظ الخديو منى لانه كان ابتدأ فى سياسة الوفاق مع الانجليز وعضده فى ذلك بطرس باشا وكنت انتقدت هـذه السياسـة فى خطبـة ابريل عام ١٩٠٨ وحـذرت الخديو من سـوء نتيجتها ، ولـكن بطرس تغلب عليه واقنعه بأن الحركة الوطنية لا شىء والاحسن استعمال الشدة معها وسافرا معا الى لندن وهناك تقوت سياسة الوفاق وعاد الخديو لمصر مصرا على محاربتنا واتتنا اخبار ذلك من باريس ممن قابلوه من الاخوان ..

ولما جاء مصر سافرت الى الاسكندرية وقابلتـه فى المقابلة العمومية التى حصلت بمناسبة عودته ومناسبة شهر رمضان فسألنى :

ـ ماذا فعلت فى أوربا ياسى فريد ؟

قلت : « اشتغلت فى تنفيذ البرنامج الذى اتفقنا عليه يا افندينا » .. فظهرت عليه علامات التغيير .. وانصرفت

من ذلك اليوم ايقنت ان الرجل خاننا واتفق مع الانجليز بواسطة بطرس باشا والسير الدون غورست على محاربتنا فكتبت فى جريدة « اللواء » مقالا شديدا ضده بعنوان : « ماذا يقولون ؟ » كان سببا فى طعن جرائد « المؤيد » و « الاهرام » التى تأتمر بأوامر المعية وفتحت باب المناقشة فى سياسة الوفاق وزاد الخلاف بيننا نحن معشر الحزب الوطنى وبين الخديو ورجاله ..

ثم فى عام ١٩٠٩ فى شهر مارس ، اصدرت الحكومة قانون المطبوعات القديم الصادر فى عام ١٨٨١ : أيام الثورة العرابية ، فحدثت مظاهرات عظيمة ضده فرقها البوليس بالقوة ، واخذت الجرائد الانجليزية تقول ان الامن فى مصر غير مستتب ، والجرائد الافرنجية فى مصر تهيج الرأى العام الاوروبى ..

وأفاض محمد فريد فى المؤامرة التى دبرت فى جريدة « اللواء » واضراب عمال « اللواء » ومحرريه عن العمل «وكان مركز الاضراب لجنة الحزب الوطنى بالسيدة زينب وكيف كان السبب الظاهرى ـ فصل غانم افندى أحد الموظفين بالجريدة لسفره الى الاسكندرية ـ وكيف تدخل المحررون وطلبوا ارجاعه فرفضنا طبعا .. ثم طلبوا ان نحرر معهم عقودا بمدد معينة مدعين انهم أصبحوا غير آمنين على وظائفهم فرفضنا ذلك .. »

وفى صبيحة ٣ نوفمبر عام ١٩٠٨ ، لما حضرت من منزلى لم أجد أحدا من العمال لا كبيرا ولا صغيرا ، وبعد قليل حضر محمود افندى عزت مندوبا من قبل

المعتصمين فلم نتفق .. وأخيرا أستدعيت بعض الاخوان بالتليفـون واحضرنا عمـالا آخرين وجمعنـا الجرنال وطبعناه فى مطبعة الجريدة بعد اتفاقى مع احمد لطفى السيد بك ، لأن عامل آلة الطبع كان رفع منها بعض قطع لتعطيلها .. وفى اثناء ذلك علمنا ان الخديو ارسل لهم ستين جنيها اعانة ..

ويمضى محمد فريد قائلا :

ـ كان المحرك لـكل هـذه الاعمـال هو يوسف المويلحي الذى لم يقبل مطلقا عضوا بالحزب بصـفة رسمية لعدم ثقتنـا فيه ، بل لعلمنـا انه من رجال البوليس السرى ، ولـكنى لم اقاطع السيـد افندى على واخوانه ـ وكانوا بعد خروجهم من « اللواء » قد أسسوا جريدة « مصر الفتـاة » بل زرتهم فى محل ادارتهم وشجعتهم على العمل ..

ولما القيت خطبتى السنوية ارسلت صورتها لسيد على لينشرها فى جريدته وقت القائهـا ، كما أعطيتهـا لجريدة « اللواء » وتكلمت عن تأسيس جريدة « مصر الفتاة » فى هذه الخطبة فقلت انها للحزب الوطنى الذى أصبح له جريدتان بدلا من جريدة واحدة وبذلك كسبت سيد على الذى ظل محافظا على ولائه لى لدرجة ما ..

وتحدث محمـد فريد عن اشـتراك طلعت حرب فى مؤامرة « اللواء » و «ليتندار اجبسيان وذى اجبسيان استاندرد » بوصـفه وكيل دائرة عمر سلطان احـد أعضاء مجلس ادارة « اللواء » وكيف اضطر الحزب الى الغاء صحيفة « ليتندار اجبسيان » «بعد أن صرفنا عليها من خزينة الحزب ما يقرب من الفين وخمسمائة جنيه ونسب الى اعدائى عدم القدرة على الاستمرار فى اعمال مصطفى » ..

وتحدث محمد فريد عن الخلاف الذى قام بين ورثة مصطفى كامل وفى مقدمتهم على فهمى كامل الذى كان يملك وحده نصف جريدة « اللواء » وكيف عين يوسف المويلحى حارسا قضائيا على شركة « اللواء » وكيف جاء المويلحى فى ٢٨ فبراير ـ اى بعد مقتل بطرس غالى باشا بثمانية أيام ـ والحكومة قائمة بشدة ضد الحزب الوطنى وجرائده ـ واستلم ادارة « اللواء » وأحضر معه كل العمال الذين خرجوا بسبب الاعتصام وأراد التدخل فى سياسة الجرائد والاطلاع على كل ما يكتب فيها فعارضت بصفتى رئيس الحزب وصاحب الاشراف على سياسته وسياسة جريدته فلم يقبل طبعا ، لان قصدهم كان وضع يدهم على الجريدة فتركناها وأعلنا بانها أصبحت لا علاقة لها بالحزب وأسسنا جريدة « العلم » وظهر اول عدد منها يوم ٧ أو ٨ مارس .. اى بعد اسبوع وساعدنا محمد سعيد باشا اذ ذاك بالحصول على رخصة اصدار « العلم » وتساهل معنا فى التامين .. وبالاختصار قام فى هذه الحادثة بما يجب عليه لانه كان محتاجا لتعضيد الحزب الوطنى له ..

وأشار محمد فريد فى مذكراته الى مقال نشره بجريدة « اللواء » ـ ١١ ابريل عام ١٩٠٨ ـ وبه اشارة الى تخوف سياسى ممن تهمهم السياسة المصرية من تكرار زيارات السير الدون غورست لسراى عابدين.. لقد لاحظنا ان السير الدون غورست لا يتاخر عن زيارة الجناب العالى كلما يقصد سموه سراى عابدين وان هذه الزيارات تكاد تكون دائما فى ساعة واحدة وهى الساعة الحادية عشرة صباحا . وقد شغلت هذه الزيارات المتزايدة والغير عادية حضرة

السياسى ، وحضرة السياسى له الحق فى ان يضطرب بسببها لحصولها فى وقت ينشغل الرأى العام بمسألة هى أم المسائل وتحقق لهـا قلوب المصريين كافة وقلب مصر .. الا وهى مسألة الحصول على الدستور ..

والمقال الثانى الذى كتبه محمد فريد فى سبتمبر عام ١٩٠٨ ، كان اشد عنفا من المقال السابق وقد قال فيه :

« الا ان نتيجة هـذه السياسة سياســـــة تخدير أعصاب الامة ربما جاءت على عكس ما يتوهمون ، فان الحركة كما قلنا شديدة وتيارها قوى جارف لا بد من نيل الامة للدستور رضيت بطانة الامير أم لم ترض.. »

وقال محمد فريد فى ختام مقاله : لن نقصد الحكومة الانجليزية مطلقا ولو كان نيلنا الدستور معلقا على طلبه منهم فخير لنا ان نبقى بلا دستور من ان نناله بالاعتراف بأن للانجليز حقا أو شـــبه حق فى بلادنا مهما رمونا بالتهور أو التطرف فلهم دينهم ولنا دين . » وللعلم فان أول عدد صدر من جريدة « العلم » كان فى يوم ٧ مارس عام ١٩١٠ وقد أقبل عليها الراى العام اقبـــالا شديدا وأحلها فور صدورها محل جريدة « اللواء » فى المكانة السياسية والصحفية معا، ولكن جريدة «العلم» أوقفت بعد ١٣ عددا حيث قامت وزارة محمد سعيد — وكانت قد تألفت فى ٢٣ فبـــراير عام ١٩١٠ — بايقافها فى ٢٥ مارس عام ١٩١٠ لمدة شهرين بحجة انها خرجت فى كتاباتها عن حد الاعتدال .. وقد أصدر محمد فريد فى اليوم التالى جريدة « الشعب » وكتب فيها مقالا افتتاحيا قال فيه :

— نحن لسنا اعداء للأمة الانجليـــزية ، بل اعداء الاحتـــلال ، فان أرادت انجلترا ازالة ما بيننا وبينها

من العداوة فلتخرج من بلادنا ولتتركنا وشأننا ندير أمورنا بما يوافق مصلحتنا التى نحن أدرى بها .. اما ما داموا لبلادنا محتلين وفى امورنا متدخلين فلا امل فى الصفاء مطلقا بينهم وبين الامة .. »

على ان محمد فريد لم يترك فرصة تمر دون فضح الخديو فيما بعد ..

قال الخديو عباس لمسيو جان رود مكاتب جريدة « الطان » الفرنسية فى ابريل عام ١٩١٠ يصف رجال الحزب الوطنى « بأنهم قوم متسرعون جدا اخروا تقدم البلاد الطبيعى بالحافهم فى مطالب سابقة لاوانها ومصحوبة بالضوضاء » .. وقد علق محمد فريد على حديث الخديو بمقالين قال فى أحدهما :

ــ ولا ادرى ما الذى حمل سمو الامير على اعتبارنا متسرعين وملحفين فى طلب الدستور .. مع ان مبادئنا لم تتغير من عام ١٩٠٧ الى الان ، بل ما زالت هى هى تلك المبادىء التى أساسها طلب الجلاء وطلب الدستور لايوجد لدينا ما يضطرنا لتغيير سياستنا أو تعديلها فاننا لا ندأب نطالب بالجلاء والدستور حتى ننالهما ولا يقعدنا عن السير فى طريقنا ما نراه من مظاهر الوفاق ــ بين الانجليز والخديو ــ كما لا ينقص من همتنا رمينا بأننا متسرعون » ..

وقال محمد فريد فى مقاله الثانى تحت عنوان « سياسة الشدة » :

« ان الفكرة سائرة لا يعوقها فى تقدمها سياسة وفاق او سياسة أخرى مبنية على ارضاء المحتلين باستعمال القسوة المتناهية مع كل من لديه شجاعة أدبية فى قول الحق »

وقد كان أول تغيير جذرى فى السياسة المصرية عقب تولى محمد فريد قيادة الحركة الوطنية استقالة وزارة مصطفى فهمى فى ١١ نوفمبر عام ١٩٠٨ بعد أن استنفدت اغراضها فى خدمة الاحتلال ثلاثة عشر عاما .

والف بطرس غالى باشا وزارته الجديدة وقد دعا محمد فريد الى نسيان ماضى بطرس غالى وطالبه ان يمحو بخدمته الجديدة ما علق فى الأذهان من تاثير أعماله الماضية . ولكن بطرس غالى كان قد جاء الى الحكم ببرنامج محدد فى مقدمته تكميم الافواه وتقييد حرية الصحافة ، ومحاولة اعاقة الحركة الوطنية عن التقدم والانتشار .

وبدأ بطرس باشا عقب توليه الوزارة بتنفيذ البرنامج الذى وضع له فى دار المعتمد البريطانى ! فأعاد العمل بقانون المطبوعات القديم ، الصادر فى ٢٦ نوفمبر عام ١٨٨١ ابان الثورة العرابية وكان قد بطل العمل به منذ زمن بعيد وهذا القانون يخول لوزارة الداخلية حق انذار الصحف وتعطيلها مؤقتا أو نهائيا دون محاكمة أو دفاع ، وكان اصدار هذا القرار أول مظاهر تحالف الخديو والوزارة والاحتلال ضد الحركة الوطنية . وقد احتج محمد فريد باسم الحزب الوطنى لدى الخديو مبديا استياء الحزب الوطنى من رغبة تقرير الحكومة فىالعودة الى العمل بقانون المطبوعات لعام١٨٨١، ذلك القانون الذى صدر فى وقت كانت فيه البلاد فى فوضى ... وقال فى حديث له مع مراسل جريدة « كورير ديجيبت » انى أعتقد أن ما تهددنا به الحكومة من تكميم افواهنا واعنات صحافتنا لا يكون له اثر سوى انه يزيد الحركة الوطنية وان من خرق

سياسة الحكومة ان تسد تلك الفوهة التى كان يتصاعد منها ما يفيض من احساس الامة وآلامها »

وعن مظاهرات الاحتجاج بسبب اعادة قانون المطبوعات قال محمد فريد :

ــ لقد اثبتت مظاهرات يومى الاربعاء والخميس السخط العام على هذا القانون الشاذ الذى يراد به القضاء على حرية الصحافة ..

« ان مسئولية ما وقع فى ميدان الاوبرا من الحوادث واقعة على عاتق البوليس وحده ولقد كان يخشي ان تؤدى حملة الفرسان الي قلاقل خطيرة لولا ما أظهره الطلبة من الثبات والرزانة » .. وقال محمد فريد فىخطبته فى المؤتمر الوطنى فى ٧ ينايرعام ١٩١٠ :

« ولولا ما استعمله المتظاهرون من الحكمة فى عدم المقاومة لتدخل جيش الاحتلال الذى كان على أهبة الاستعداد ، ولسالت الدماء أنهارا »

واشار محمد فريد الى حملات الحكومة ضد الصحافة وآثارها فقال :

« على ان كل هذه الاعمال لم تكمم أفواه الجرائد ولم تخفف من لهجتها ، بل ان كلا منها سارت فى الطريق الذى رسمته لنفسها غير متحولة عنه مهما هددت أو أوذيت فى محرريها والقائمين بها » .. وكان محمد فريد قد حرك الشعب فى مظاهرات عنيفة اشترك فيها الشعب بجميع طوائفه وطبقاته ... ففى ٢٦ مارس ١٩٠٩ اجتمع آلاف من الشباب من طلبة المدارس العالية والعمال وطوائف التجار فى حديقة الازبكية .. وتوالى الخطباء وساروا بعد الخطب ــ فى مظاهرة ــ بلغ عدد المشتركين فيها نحو عشرة آلاف شخص ..

وانتهت فى ميدان الاوبرا ، وتجددت المظاهرات بعد ذلك فى ٣١ مارس فى حديقة الجزيرة وتحرك الشعب كله فى الايام التالية ونشبت معـارك عنيفة بين المتظـاهرين وقوات البوليس التى كان يقودها هارفى باشا .. وقد أصـيب كثير من المتظـاهرين بسـبب الضرب بالعصى الغليظة وسنابك الخيل ومع ذلك لم يتفرق المتظاهرون فجاءت فرقة المطـافىء وصـوبت ميـاه مضخاتها الى المتظاهرين واغلقت المحال التجارية ابوابها ... وقـدم للمحاكمة احمد حلمى المحرر الاول بجريدة « اللواء » ومحمود رمزى نظيم ، وعثمان طلعت صبور ، ومختار طلعت صبور ، واحمد زكى ، وابراهيم غانم ، بتهمة اهانة الحكومة.. واهتم الشعب بهذه القضية واعتبرها قضية الحرية وحكم على احمد حلمى صـاحب جريدة « القطر المصرى » والمحرر الاول بجريدة « اللواء » — أيام مصطفى كامل — بالسجن سـتة اشـهر وحبس الباقين ثلاثة اشهر وتبرئة ابراهيم غانم !!

ويروى احمد شفيق باشا — ضمن مذكراته — صدى اعادة العمل بقانون الصحافة الصادر فى عام ١٨٨١ ، — وقد نشرت « الوقائع الرسمية » القرار الخاص به فى ٢٧ مارس عام ١٩٠٩ — فيقول :

— ثارت جميع الصحف وحملت جريدة « اللواء » على القانون بعنف ووردت تلغرافات للجمعية وللحكومة بالاستياء منه .. وفى اليوم التالى ذهب الخديو الى المحطة لتوديع الدوق اوف كنوت .. وفى اثناء ذهابه وعودته الى قصر عابدين لاحظ ان بعض الطلبة الذين ينتمون الى الحزب الوطنى كانوا جالسـين على قهوة « الشيشة » وغيرها وهم فى حالة عدم اكتراث .. ولما

مرعليهم الخديو لم يتحركوا ولم يقفوا لاداء السلام، بل
على العكس رفعوا ساقا فوق ساق ونظروا اليه وقد
احس سموه انه لابد وان يكون الحزب الوطنى قد
كلفهم بتنظيم هذه المظاهرة انتقاما منه بسبب قانون
المطبوعات والصحافة .. وبلغنى من سموه انه ورد
للنظار انذار بأن عشرة من الطلبة سينتقمون منهم
ويقتلونهم لاقرارهم رجوع قانون مطبوعات عام ١٨٨١
وان النظار يخشون هذه الجمعية » ..

« وحدث اثناء غياب سموه ، عند افتتاح بورسودان
مظاهرة كبيرة قام بها الطلاب المنتمون للحزب الوطنى
وان هارفى باشا الحكمدار الذى كان مشرفا على تفريقهم
سقط عن جواده .. ولكن البوليس تمكن من القبض
على الفاعل وعلى عدد من المتظاهرين لتقديمهم للمحاكمة
وعلمنا ان جيش الاحتلال كان على استعداد لاول اشارة
وان القائد العام كان يراقب الحالة بنفسه فى ميدان
الاوبرا .. »

وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قد قدم للمحاكمة
فى يوليو ـ اغسطس عام ١٩٠٨ بتهمة نشر اخبار
مثيرة عن السودان وكانت المحاكمة ـ كما يقول الاستاذ
عبد الرحمن الرافعى فى كتابه محمد فريد ـ فوزا كبيرا
للحركة الوطنية وجاء الحكم فيها ضربة شديدة اصابت
هيبة الوزارة التى قررت ان تقدم الشيخ جاويش
للمحاكمة مرة ثانية فى ٢٨ يونيو عام ١٩٠٩ ، لانه نشر
مقالا بعنوان « ذكرى دنشواى » ..

ويكتب على فهمى كامل من رجال القضاء ـ وهو غير
شقيق مصطفى كامل ـ الى محمد فريد خطابا يقول
فيه :

« رأيت فى جريدة « مصر » عدد الامس ان السير غورست طلب من الداخليــة ترجمــة مقــال « ذكرى دنشواى » الذى جاء فيه طعن على بطرس غالى باشا وفتحى زغلول باشا لمحاكمة الشيخ عبد العزيزجاويش فلعل هذا الخبر لا يكون صحيحا لان فيه القضاء على جريدة « اللواء » والحزب الوطنى معا ، لانه على ما ارى يستحيل البراءة لانه طعن شخصى لا طعن على العمل ذاته »

وكان الشيخ جاويش قد ختم مقــــاله عن « ذكرى دنشواى » بالعبارة التالية :

« الا فلنذكر الآن الثامن والعشرين من شهر يونية ولنذكر ان للاحتلال اعوانا من بيننــا يجب محاربتهم بالبغض ، ومعاملتهم بالحذر وسوء الظن »

وقد حكم بالحبس ثلاثة اشهر على الشيخ جاويش وفى يوم الحكم الاستئنافى انذرت جريدة « اللواء » فى ٢٥ اغسطس عام ١٩٠٩ ..

وعن انذار جريدة « اللواء » والحكم على الشيخ جاويش كتب احمد شفيق باشا فى « مذكراتى فى نصف قرن » يقول :

« علمنا ان البرلمان الانجليزى أوصى وزير الخارجية الانجليزية بعدم التضييق على حرية الصحف فى مصر ولــكن حدث ان اضطرت الحكومة الى الخروج عن هذا التحفظ .. اولا لأن جريدة « اللواء » نشرت فصولا طويلة مدحت فيها دنجرا الهندى قاتل اللورد كيرزون فى انجلترا واعتبرت عمله عملا طيبا خالدا ودعت الشبان الى التشبه به فى وطنيته .. وثانيا لأن الشيخ جاويش نشر فى جريدة « اللواء » مقالا شديد اللهجة طعن فيه

فى حق بطرس غالى باشا وفتحى زغلول باشا ومحمد يوسف بك .. اما جريدة « اللواء » فقد تقرر انذارها بعد أخذ ورد بين مصر ولندن حتى ان بطرس غالى باشا لوح بالاستقالة اذا لم تنذر الجريدة ..

وفى ٢٠ مارس عام ١٩١٠ ، اصدرت حكومة محمد سعيد باشا قرارا باغلاق جريدة « العلم » لمدة شهرين بحجة انها خرجت فى كتاباتها عن حد الاعتدال.. وعلق محمد فريد على ذلك بقوله :

ـ كل من اطلع على قرار الحكومة القاضى بتعطيل جريدة « العلم » لسان حال الحزب الوطنى والمعبرة عن أفكاره يكاد يعتقد ان قصدها الوحيد هو محاربة هذا الحزب لانه اشتهر بعدم محاباة الحكومة والاحتلال ، وعدم التملق لاصحاب السلطة فى مصر ، ولانه المعبر عن راى السواد الاعظم من الامة والناطق بلسان شبيبتها الراقية الرشيدة .. نعم ان قصد الحكومة أو قصد مستشاريها من الانجليز تكميم أفواه رجال هذا الحزب عن التشهير بأعمالها الضارة التى تأتيها طوعا أو كرها .. ولكننا قوم تذرعنا بالصبر على الكوارث ، واتخذنا الثبات شعارا لنا ، لا يلوينا عن غايتنا اضطهاد ولا نتقهقر الى الوراء مطلقا مهما أوذينا فى انفسنا او فى جرائدنا ، ما بقى لنا من القانون اقل فرجة لبلوغ امنيتنا لا نتأخر عن الولوج منها »

وعن مشروع مد امتياز قناة السويس ، كتب احمد شفيق باشا يقول :

ـ حضر غورست فى اول نوفمبر عام ١٩٠٩ وقابل سمو الخديو فى سراى راس التين واتفقا على عرض مشروع مد امتياز قناة السويس على الجمعية العامة

على شرط ان يدافع سـعد زغلـول عنـه ويكون راى الجمعية قاطعا ..

وفى ٧ فبراير عام ١٩١٠ ، افتتح سمو الخديو دور الانعقاد السنوى كالمعتـاد . وفى هـذا الوقت كانت المظاهرات تطوف شوارع العاصمة هاتفة ضد مشروع قناة السويس وضد الاستبداد وضد جريدة «الاهرام» لانها تروج للمشروع وكانت صـحف الحزب الوطنى «والجريدة» تكتب بلهجة حادة ضد مروجى المشروع وتتهم بطرس غالى باشا خاصة والنظار عامة بالخيانة والاجرام فى حق الوطن حتى لقد امتد اتهامها الى الخديو نفسه بعد القاء خطبته السابقة وكان « الجو مكهربا » من جراء هذه الحملات وتوالت هذه المظاهرات الحماسية عدة ايام ..

وقد لعب محمـد فريد دورا خطيرا فى احبـاط مشروع مد امتياز قناة السويس اربعين عاما أخرى ، وذلك فى أواخـر عام ١٩٠٩ ، وأوائل عام ١٩١٠ ، والقصة تتلخص فى ان المستشـار المـالى البريطـانى للحكومة المصرية مستر بول هارفى دخل فى مفاوضات مع شركة قناة السويس لمد امتيازها اربعين عاما لقاء اربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة ، وجانب من الارباح من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٦٨ وظل المشروع فى ظل الخفاء زهاء عام وكان فى عزم الوزارة تنفيذه بسرعة حتى لايزعجها احتجاج الصحف الوطنية ولـكن محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة من المشروع فى اكتوبر عام ١٩٠٩ ، فبـادر الى نشرها فى جريدة « اللواء » .. ثم قام على اثرها ببيان اسرار المشروع وأسبابه ومدى الغبن الذى يصيب مصر من ورائه وشرح ذلك فى سلسلة مقالات مستفيضـة دلت

على سعة المامه بدقائق المسالة المصرية وملابستها من الوجهتين السياسية والمالية » (١) وطلب محمد فريد من الخديو باسم الحزب الوطنى الا تحرم الامة من اخذ رأيها فى المفاوضات التى تدور الان مع الشركة وطلب من مجلس الوزراء ان يكون راى الامة قاطعا فى هذا الموضوع والا تتحمل الحكومة كل مسئوليته ، والحزب الوطنى يحتج على هذا العمل ان تم بدون اخذ راى الامة .. وكان نداء محمد فريد صيحة الخطر التى استجابت لها البلاد فى هذه المسالة فقامت بطوائفها وصحافتها تنادى بوجوب عرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه ، وكادت الحكومة تنفذ المشروع لولا الضجة التى اثارها الحزب الوطنى حوله فاضطرت تحت ضغط الراى العام ان تتريث قبل البت فيه ..

وقد اسمى حافظ ابراهيم الحزب الذى يؤيد راى الشعب فى الموضوع بحزب الشمال ، والحزب الذى يؤيد الحكومة بحزب اليمين :

ويا حزب اليمين اليك عنا
لقد طاشت نبالك والسهام
ويا حزب الشمال اليك منا
ومن ابناء نجدتك السلام

ويقول محمد فريد وكانه كان يفكر فيما اقدمت عليه الثورة عام ١٩٥٦ من تأميم القناة :

ـ ان مصر لو كانت حرة وكانت اعمالها بيد نوابها لفضلت استرداد الامتياز من الان فى مقابل تعويض مالى يدفع للشركة مرة واحدة او مقابل جزء من الارباح كما فعلت الدول التى استردت امتياز سككها الحديدية»

(١) محمد فريد ـ عبد الرحمن الرافعى

وعقـــدت الجمعية العموميـــة فى ٩ فبراير عام ١٩١٠ اجتماعها الاول .. وفى ابريل رفضت الجمعية ـ فيما عدا اصوات الوزراء والعضو مرقص ســـميكة باشا ـ المشروع ..

وقد سجلت الحركة الوطنية اكبر انتصــار لها على السياسة الاستعمارية ..

« وكان نداء محمد فريد بمثابة صيحة الخطر فقامت الامة بطوائفها وصحافتها تنادى بوجوب عرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه وان يكون رأى الجمعية العمومية قاطعا رغم انها جمعيـــة استشارية

وتحت ضغط الراى العام اضطرت الجمعية العمومية لرفض المشروع » (١)

وقد اقلق هــذا الانتصار الشعبى مضاجع الحكومة حتى لقـــد اخـذت جريدة « المقطم » ـ لســـان حال الاحتلال ـ تكيـــد للحركة الوطنيـــة وتؤكد ان الحزب الوطنى كما جاء فى عددى ٢٦ و ٢٩ اكتوبر عام ١٩١٠ حزب ثورى يعرض بالجناب العـــالى الخديوى ويختزن السلاح توطئة لثورة يقوم بها فى مصر

وقد حكم بحبس الشيخ على الغاياتى ـ غيابيـــا ـ بالحبس ستة اشهر مع الشغل ، والشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة اشهر مع النفـــاذ وذلك فى ١٦ اغسطس عام ١٩١٠ ، وقدم محمد فريد الى المحاكمة بتهمة « تحسين كتاب وطنيتى » للشيخ على الغـــاياتى ، وكتاب « وطنيتى » عبارة عن عدد من القصائد الثورية نشرتها جريدة « العلم » وجريدة « اللواء » وجمعت بعد نشرها فى كتاب ..

(١) تطور الحـــركة الوطنيـــة (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) شهدى عطية

وكان مما قاله محمد فريد فى مقدمة ديوان «وطنيتى»:

« لقد كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو فى الشرق اماتة الشعر الحماسى وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد والاطراء الفارغ للملوك والامراء والوزراء ..

لقد تنبهت الامم المغلوبة على أمرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والاناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين فكان ذلك من اكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات » ..

وانهى محمد فريد كلمته بدعوة الشعراء الى الاقلاع عن عادة وضع قصائد المدح فى ايام معلومة ومواسم معدودة وان يستعملوا هذه المواهب الربانية العالية فى خدمة الامة وتربيتها بدلا من أن يصرفوها فى خدمة الاغنياء وتملق الامراء والتقرب من الوزراء « فالحكام زائلون والامة باقية ، والسلام لمن سمع ووفق لخدمة بلاده وسعى فان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » ..

وعندما قدم محمد فريد الى المحاكمة ، كتب أمين الرافعى فى جريدة « العلم » بتاريخ ٢٤ يناير عام ١٩١١ تحت عنوان : « انزلوا بنا ما شئتم من الشدة » ..

ثم قضت محكمة جنايات مصر برئاسة مستر دلبراوغلى فى ٢٣ يناير عام ١٩١١ بسجن محمد فريد ستة اشهر مع النفاذ ..

وعلق أمين الرافعى على الحكم فى ٢٧ يناير تحت عنوان : « حول الحكم على الرئيس » قال فيه :

ـ هناك اجماع على الاستياء .. اجمـــاع على أن الحكم صارم .. اجمـــاع على انه اذا كان لا بد من الحكم فكان ايقاف التنفيذ واجبا .. اجماع على الدهشة من تفاوت الاحكام فى قضيـة واحدة ولتهمة واحدة .. اجماع على التساؤل من سر هذا التفاوت الغريب .. اجماع على ان قانون احالة جنح الصحافة على محكمة الجنايات مع حرمان المتهم من الضـمانات التى يتمتع بها اللصوص وقطاع الطرق وسفاكو الدماء كان من أشد الضربات التى آلمت الامة ..

نعم .. ما أصدرت المحاكم فى مصر حكما قابلته الامة من كبيرها الى صـغيرها بمثل الاستيـاء العظيم الذى قوبل به حكم الامس لان الناس يرون فيه عدم تناسب بين التهمـة التى قال القضـاء بوجودها وبين العقوبة وبين هذه وبين المحكوم عليه ويحتارون فى تفسير ذلك حيرة شديدة ..

ولقد شعرت بهذه الحيرة احدى الجرائد الاجنبية التى يقولون عنها انها لسان حال الاحتلال فقالت :

« ان رئاســة فريد بك هى التى جعلته يقوم بدور هام فى الحادثة التى اعتبرها القضاء معاقبا عليها وهذا الدور لا يقف عند المقـدمة التى كتبها وانما مسئولية

فريد بك ترجع الى اكثر من ذلك فهى راجعـة الى الخطة التى رسمها لحزبه .. الى المبادىء التى نشرها بواسطة لسان حزبه .. الى الخطب التى القاها .. الى التاثير الذى أوجدته خطته فى نفوس اعضاء هذا الحزب »

ان حبس الرئيس فى حد ذاته لا يضره ولا يلحق بنا شيئا من الاذى ، ويكفيه ويكفينـا ذلك العطف الذى

يقوى تياره ويضم الى الحركة الوطنيـة قوى جديدة كما قال جورنال « دى كير » فاننا والحق يقال لو ظللنا هذه الستة أشهر نخطب باقوى لسان ونكتب بارهف قلم فى سبيل المبادىء الوطنيـة لما استطعنا ان نجمع حولنا جزءا من تلك القوى الجديدة التى انضمت الينا

فلتدرك الحكومة هذه الحقائق .. وحبذا لو رجعت الى الماضى لتعلم منه تأثير أمثال حكم الامس فى الشعور الوطنى ... والتاريخ يعيد نفسه ..

واوفد الخديو الى محمد فريد وهو فى السجن عثمان غالب ليعرض العفو عليه .. فلعل محمد فريد يقبله اذا عرضه عثمان غالب بعد ان رفضه عندما عرضه كولس باشا مدير السجون ..

وقال عثمان غالب ان الخديو مستعد للعفو وطلب منى أن ارجوك يا فريد بك أن تقدم طلبا بذلك ، فوجه محمد فريد اللوم الى عثمان غالب وقال له :

« انا لا اطلب العفو ، ولا أسـمح لاحد من عائلتى أن يطلبه عنى .. واذا صدر العفو فلن اقبله »

وقد ذكر أمين الرافعى فى مقال له عن أسباب انقلاب عثمان غالب على الحركة الوطنية بعد فشله فى اقناع محمد فريد ، قال فيه :

ــ والآن فلنذكر للقراء سبب انقلاب هذا الشيخ ، والدافع له الى محـاربة رئيس الحزب الوطنى بذلك السلاح الدنىء .. لمـا سجن الرئيس فى شتاء هـذا العام أسـتدعى الدكتور عثمان غالب الى مصر لاتخاذه آلة لمحاربة الحركة الوطنية فى مقـابل وعده باسـناد احدى الوظائف اليه وترقية نجله ..

وكان عربون هذه المكافاة أن يستكتب فريد بك كتابا

يطلب فيه العفو عنه .. وبالفعل سمحت له نظارة الداخلية بمقابلة الرئيس فى سجنه بالرغم من مخالفة ذلك لنظام السجون اذ لم يكن مسموحا لاحد وقتئذ بزيارة فريد بك لاسيما وان الدكتور عثمان غالب ليس من أقارب الرئيس ..

وبهذه الوسيلة قابل هذا الشيخ فريد بك مرتين ولبث معه طويلا من الزمن وهو يحسن له المطالبة بالعفو ، أو على الاقل الايعاز للجنة الادارية للحزب لتطلب العفو عن رئيسها حتى يكون فى هذا العمل اكبر اعلان على تقهقر الحزب الوطنى ومذلته فيقضى عليه شر قضاء .. ولكن الرئيس بالطبع رفض هذا الطلب رفضا باتا وبكل اباء وشمم وأبى أن يجيب ـ ذلك الصديق المخلص ـ الى بغيته .. فرجع الشيخ وهو يتعثر فى اذيال الخزى والفشل .. ولما علم بعض رجال الحزب بهذه المساعى أوسعوه لوما وتقريعا فى نادى الحزب ..

وكان حضرته فى هذه الاثناء قد أوعز اليه بكتابة طلب الى نظارة المعارف يطلب فيه أن تسند اليه وظيفة موجيل بك رئيس الارسالية المصرية بفرنسا ..

ولكن فشله فى القيام بهذه المهمة حال دون تحقيق أمنيته ولو انه لم يحل دون ترقية نجله ..

هذا سبب انقلاب ـ الصديق المخلص ـ على الحركة الوطنية وكراهيته الشديدة لرئيسها لانه لم يمكنه من نيل امنيته التى استباح فى السعى لها مثل هذه الوسائل الدنيئة »

وعندما خرج محمد فريد من السجن ـ ١٨ يوليو عام ١٩١٩ ـ كتب مقالا رائعا تحت عنوان : «من سجن

الى سجن » .. قال فيه :

« مضى على ستة اشــهر فى غيــــابات السجن ولم اشعر بالضيق الا عند اقتراب اجل خروجى لعلمى انى خارج الى سجن آخر ، هو سجن الامة المصرية الذى تحده سلطة الفرد ويحرسه احتلال » وقال :

« ظن اعداء حزبنا الوطنى وخشى محبونا أن يكون للحبس هــــذا أقل تأثير فى سير الحزب وانتشــــار مبادئه الحقة بين طبقات الشعب ووصولها الى أعماق قلوبه ، ولـكن لله الحمد فقد برهن حزبنا أثناء اعتقالى بين جدران هذا السجن على انه حزب الوطن ، حزب الشعب ، لا يؤثر فيه موت رئيس ، كما لم يقف سيره موت مؤسسه رحمه الله .. فان حبس أو مات رئيس قام بدله رؤساء متضافرون على مؤازرته متضــامنون على نصرته عاقدون العزم على الوصول به الى غايتنا وغاية كل وطنى — ولو كان منافقــا — وهى الجــلاء والدستور »

وقد كان سجن محمد فريد يمثل مرحلة هامة من مراحل تطور الـكفاح الوطنى فى مصر .. فقــد أعلن الاحتلال عزمه على استخدام كل الطرق بما فيها القوة والبطش لايقــاف سير المد الشعبى الثورى الذى كان قد بلغ وقتئذ مداه بصورة لم تحدث من قبل .. حتى لقــد كانت الصحف البريطانية تتساءل كما حدث فى ٦ يونية عام ١٩١٠ : هل مصر على أبواب ثورة ؟

وبدأت سلطات الاحتــلال فى اثارة النعرات العنصرية واشترك معها خديو البلاد ! ! بدات المؤامرة بذهاب قرياقص ميخائيل — كممثل للصحافة القبطية — الى لندن ، لينشر ٢١ مقالا فى موضوع الخلاف بين المسلمين

والاقباط .. وذهب بعض الذين تزعموا الحركة ــ بتأييد من المعتمد البريطانى ــ الى دار المعتمد البريطانى ذاته ــ طالبين حمايتهم من اضطهاد الحزب الوطنى..

وتبلورت المؤامرة فى صورة الاستعداد لعقد مؤتمر قبطى احتجاجا على مقتل بطرس غالى باشا ، بالرغم من ان فكرة المؤتمر كانت موجودة قبل مقتل بطرس غالى باشا ، وبالرغم من ان بطرس غالى نفسه كان ضد هذه الفكرة وفى ذلك المعنى يقول احمد شفيق باشا فى « مذكراتى فى نصف قرن » :

ــ سمعنا بفكرة عقد مؤتمر قبطى لبحث مطالب الاقباط وشكواهم قبل مقتل بطرس غالى باشا ، وقد اخذ بعض اعيان الطائفة يعمل سرا لعقد هذا المؤتمر ويبث روح السخط بين الاقباط ويصور لهم انهم مغبونون فى الوظائف والحقوق العامة وكانت جريدتى « الوطن » و « مصر » تنفخان فى هذه الروح وقد قابلت بطرس باشا وتحدثت معه فى امر هذه الحركة وعواقبها الخطيرة وتفريقها للأمة ، فطمأننى بأنه لا خوف منها وانه لا يسمح باستفحالها .. وقد كان بالفعل معارضا لها حتى أرسل انذارا لجريدة « الوطن » بسبب هذه الحركة .. ولما حدثت حادثة اغتياله زادت الحركة قوة وبدأ الكثيرون من الاقباط يزيدون على الكتابة فى الصحف القبطية الشكوى الى الصحافة الانجليزية .

وقد عقد بعض كبراء المصريين مؤتمرا للرد على المؤتمر القبطى اسموه المؤتمر المصرى وقد اشترك فى هذا المؤتمر المصرى الذى بدأ جلساته فى ٢١ ابريل عام ١٩١١ ، احمد لطفى السيد ، ومحمود ابو النصر ، ومحمد حافظ رمضان ، واحمد عبد اللطيف المكباتى ، والشيخ

عبد العزيز جاويش ، وابراهيم الهلباوى ، ومحمد أبو شادى ، والشيخ على يوسف ، وعلى الشمسى ، وابراهيم رمزى ، وعبد الخالق مدكور ، وعمر لطفى.. وكان المؤتمر برئاسة رياض باشا ..

ويعلق الاستاذ عبد الرحمن الرافعى على عقد المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى فى كتابه « محمد فريد » بقوله :

ـ وفى غيبة ـ محمد فريد ـ حدثت فتنة بين المسلمين والاقباط وانعقد المؤتمر القبطى باسيوط فى شهر مايو عام ١٩١١ ، ثم المؤتمر المصرى بمصر الجديدة فى ابريل ـ مايو ـ ردا عليه . وكان كلا المؤتمرين ـ مظهرا يؤسف له من مظاهر الخلاف بين المسلمين والاقباط ـ وكلاهما قد اجتمع والفقيد فى سجنه ولو كان حرا طليقا لما رضى بهذه المظاهرة ولنصح باجتنابها ولامكنه أن يعيد التفاهم بين الفريقين .. ولقد قيل وقت انعقاد المؤتمرين ان يد السير الدون غورست المعتمد البريطانى لم تكن بعيدة عن الدعوة اليهما.. ومما يؤيد ذلك ان جميع مواضيع المؤتمر المصرى ، والمؤتمر القبطى قد خلت من أى معارضة للاحتلال أو انتقاد لسياسته او مطالبة له بتحقيق وعوده

وقد ذكر محمد فريد فى مذكراته ما يلى :

ـ فى اثناء حبسى شرع فى المؤتمر المصرى الذى جمعه محمد سعيد باشا بناء على رغبة السير الدون غورست لمحاربة الاقباط وبالتالى للتفريق بين الاقباط والمسلمين

وفى كتاب « تطور الصحافة المصرية » قال د.ابراهيم عبده :

ـ استطاع الحزب الوطنى ان يجتاز الصراع ويقف فى هذا التيار بمجهود العقلاء والحريصين على وحدة البلاد

الشباب المصرى - بقيادة فريد -
يعمل فى الخارج

طبع محمد فريد رسالة باللغة الفرنسية تليت ووزعت فى باريس وليبزج وجنيف خاصة بالجرائم التى ارتكبها الاحتلال البريطانى للقضاء على التعليم المصرى والغاء اللغة العربية فى المدارس وعلق الكثير منها . وقد أوضح محمد فريد فى هذه الرسالة كيف تحولت برامج مدرستى الحقوق والهندسة الى برامج تشبه برامج المدارس الثانوية ، وكيف اغلقت جميع المدارس الثانوية فيما عدا ثلاث مدارس « اما مستوى المدارس الابتدائية فقد هبط الى مستوى الكتاتيب » كل هذا الى جانب تحويل جميع المدارس الى معامل لتفريخ الموظفين الذين يسيرون ــ بلا تفكير ــ فى تنفيذ المخطط الانجليزى .

اما فكرة انشاء جامعة مصرية فقد لبثت زمنا طويلا، وهى موضع السخرية والاستخفاف ، فلما روج الوطنيون للفكرة ، وشرعوا يجمعون المال ، لينشئوا به جامعة على حسابهم صرح اللورد كرومر ــ مع اظهار شىء من العطف التافه على المشروع ــ بأن لابد من الانتظار قليلا حتى يتحقق المشروع وكانت نصيحته لاصحاب الحركة أن يبدأوا بدراسة تاريخ الجامعات فى الاقطار الاخرى ، على ان الحركة كانت أقوى من

اللورد كرومر نفسه ، وما هو الا عام حتى رأى خلفه بحق انه « ان كان ولابد فلتكن الجامعة تحت سلطة الحكومة دون سلطة الوطنيين » .

وعلى الرغم من وجود هذه الجامعة فان الشباب المصرى كان يهرع الى الاقطار الاجنبية وخاصة فرنسا وسويسرا لانه من المشكوك فيه ان تستمر الحكومة على اهتمامها الجدى بالجامعة وان تسيرها وفق أمانى الامة وان الطريقة التى تحولت بها مدرسة الحقوق الخديوية التى لبثت زمنا معهدا يشرف عليه مدرسون فرنسيون بارعون الى مستوى مدرسة ثانوية معتادة لنذير سوء بما عساه أن يصيب الجامعة أيضاً.

وعلى ذكر مدرسة الحقوق نقول : لقد اقيل المسيو لامبير الناظر السابق لهذه المدرسة من منصبه بفلظة وفظاظة وحل محله انجليزى كان قد حصل وقتئذ فقط على درجة علمية وهو لا يدرى شيئا عن القانون المعمول به فى مصر » ، هذا ولغة التعليم المقررة فى هذه المدرسة وغيرها من المدارس العالية ليست العربية ، ولكن الانجليزية والفرنسية الى حد ما وذلك لانهم يقولون ان اللغة العربية ليست لغة علمية وانه لايوجد بها كتب مدرسية وافية بالفرض وانه من الصعب الحصول على أساتذة يعرفون اللغة العربية (١) »

ولم تكن جريمة المسيو لامبير ناظر مدرسة الحقوق سوى انه وقع على عريضة يطلب فيها اطلاق سراح مسجونى دنشواى . وقد انعدم الحياء عند دنلوب المشرف على التعليم فى مصر ، فجعل من مقررات المدارس

(١) تاريخ مصر ــ قبل الاحتلال البريطانى وبعده : تيودور رودستين

الثانوية كتبا مثل «منتخبات ارنولد» من كتاب «اديسون» وكتاب « ميكاكلارك » وغيرها وغيرها ، وكلها طعن بذىء في الدين الاسلامى والعروبة » واللغة العربية .. هذا الى جانب توزيع قصة علاء الدين بطل ألف ليلة وليلة ، على طلاب المدارس الثانوية وبها صور عارية تماما ورسوم تمثل البطل والبطلة فى غرفة النوم .. والبطل يقول للبطلة « اخلعى ملابسك » وهى تقول له : « اخلع انت الاول » وعندما كان الطلاب يثورون على هذه الكتب كان يلقى بهم فى الشارع ، وتغلق المدارس فى وجوههم .

وعندما يرغب بعض طلاب مدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية فى الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية تغلق المدرسة فى وجوههم أيضا وتفصل المدرسة ــ بأمر من دنلوب ــ عددا كبيرا من الطلبة بدعوى انهم أعضاء فى جمعية سرية ! !

ويهتف طلاب طنطا ذات مرة عند مرور الخديو ببلدتهم ، مطالبين بالدستور ، فيفصل ۲۰ طالبا فصلا نهائيا ، بدعوى انهم أيضا أعضاء فى جمعية سرية ،

والطريف ان مأمور السجن الذى ذهب الى المدرسة واخرج هؤلاء الطلبة من فناء المدرسة ليقودهم الى السجن سئل فى التحقيق عن معلوماته عن هذه الجمعية السرية ، فقال :

ــ لقد اطلعت على اخبارها بالصحف ..

وبالجملة .. كان ساسة بريطانيا فى مصر يضمون فى قلوبهم واذهانهم ما قالته كاترينا ملكة روسيا لاحد وزرائها :

ــ خذ الحيطة وكن حذرا ، فاليوم الذى يتم فيه

تعليم الشعب لا يستطيع واحد منا ـ لا انا ولا انت ـ أن يظل ثابتاً فى مكانه »

ولهذا تم اغلاق كل نوافذ العلم أمام الطلاب المصريين واتجه هؤلاء الطلاب الى أوربا حتى بلغ عددهم قبيـــل الحرب العالمية الاولى ٧٠٠ طالب ، منهم ٤٠٠ طالب فى فرنسا وحدها .. وكانت الشبيبة المصرية لا تكتفى بأن تتـلقى العـلم فى أوربا فحسب ، بل كانت تبـذل كل ما تستطيع من جهود ووقت وأموال للعمـل من أجل استقلال مصر ، وامتد نشاط هؤلاء الطلبة الى الهنـد والتحم كفاحهم بكفاح الشعب الهندى للعمل من أجل اخراج بريطانيا من مصر والهند ، وكان هؤلاء الشباب ذوى شخصيات قوية حتى ان المفاوضـات التى كانت تجرى بين محمد فريد والخديو عباس فى بداية الحرب العالمية الاولى من أجل الصـلح ، كان يقوم بها أحـد هؤلاء الشـباب .. وقد أنشئت جمعيات كثيرة فى كل المدن الاوربية التى بها طلاب مصريون مثـل لندن وباريس وجنيف وادنبـره ولييج وغيرها للـدعاية للقضية المصرية واكثر من مرة حاولت بريطانيا ، كما حاول الخديو عباس استمالة هؤلاء الطلبة فلم يستطع وقد استطاع هؤلاء الشباب ان يثيروا قضية مصر فى البرلمان الفرنسى عن طريق مارسيل كاشان زعيم الحزب الاشـتراكى ورئيس تحرير جـريدة « الاومانيتيـه » الاستاذ باركيسو رئيس فريق اليسار فى حزب حقوق الانسان واستطاع هؤلاء رغم الرقابة المفروضة عليهم رغم قلة مواردهم ان يطبعوا مذكرات عديدة ، وكتبا كثيرة عن مصر ، وقضية مصر ، وكان هؤلاء يبيعون كتبهم ملابسهم للانفـاق من ثمنهـا على مشروعاتهم ، كمـا

كان البعض يعمل فى المصانع كعمال ، ليتيسر لهم الحصول على المال للانفاق منه على قضيتهم الاولى ، وكان محمد فريد يعرف هؤلاء الطلاب واحدا واحدا ، ويزورهم فى اماكن دراستهم وفى كثير من الاحيان كما روى لى الاستاذ خليل مدكور الذى عمل فترة طويلة سكرتيرا لمحمد فريد ، والذى كان يطلب العلم فى اوربا وعمل بدوره فى كثير من المصانع هناك ، ان محمد فريد كان يزور هؤلاء الطلاب ويهدى اليهم مسدسات على اعتبار انها ساعات سويسرية ، وكان ابراهيم الوردانى ، وشفيق منصور يزوران هؤلاء الطلاب لتجديد العهد كل عام ، كما كان هؤلاء الشباب يتدربون على استعمال الاسلحة والمفرقعات فى المناطق الجبلية فى فرنسا وسويسرا وهولندا وبلجيكا. ولم يكن هؤلاء الطلاب يكتفون فقط بالعمل السياسى العام بل لقد كانوا يهتمون اهتماما كبيرا بالمسائل الاقتصادية وكانوا فى الاجازات يعودون الى مصر ، لينشئوا النقابات العمالية ، والمدارس الليلية ، والاندية الثقافية .

ومن مجموعات الخطابات السرية التى أرسلها هؤلاء الشباب الى والدهم الروحى محمد فريد ، تعرف كل شيء عن هؤلاء الشباب ـ شباب امس الأول وزعماء الامس ـ منهم من جلس فى اسمى المناصب ، ومنهم من صعد الى المشانق ، وبعضهم الآخر أبتلعه الزمن ضمن ما يبتلعه من جنود مجهولين .. لقد ذهب هؤلاء جميعا وبقى تاريخهم المضيء الذى اشعل النار والنور لفترة طويلة من تاريخ مصر .. لقد اختلفت وسائلهم فى العمل لخدمة مصر ، فمنهم من استخدم المسدس والقنبلة

والمدفع ومنهم من آثر القلم واللسان ، وبعضهم عمد الى القول الجهير ، وبعضهم مال الى الصمت ... ولكنهم جميعا كانوا من خيرة أبناء مصر ..

وفى كل المرات التى سافر فيها محمد فريد الى اوربا للدعاية للقضية المصرية كان الشباب يقوم بواجبه فى تنظيم المحاضرات والاجتماعات التى كانت تعقد فى هذه المناسبات ليتولى محمد فريد شرح الجوانب السياسية الخاصة بالقضية المصرية لجماهير الشعوب الاوربية .

وكان من ابرزجمعيات الشباب المصرى التى ساهمت بجهد كبير فى خدمة القضية المصرية فى أوربا جمعية ابو الهول المصرية ـ مدينة ليبزج ـ ومن افرادها ابراهيم فرج ، وحمزة محمود ، وابراهيم صبرى ، ومحمد على الطوبجى ، وحسن نور الدين ، وعبدالحليم متولى ، وحنين مرقص ، وعبد الغفار متولى . وكذلك جمعية الطلبة المصرية فى جنيف ـ أبو الهول ـ والنادى المصرى ـ لندن ـ وقد نظمت جمعية أبو الهول ـ فى جنيف ـ بمساعدة زميلاتها بالعواصم والمدن الاوربية الكبرى مؤتمرا للشبيبة فى يوليو عام ١٩١٤ اشترك فيه محمد فريد وعبد العزيز عمران ويحيى الدرديرى والسيد عبد العزيز خضر وعثمان زاهر ونجيب حسين الجندى وعباس الجندى ومحمد طلعت واسماعيل حقى وعبد الرحمن عزام ومصطفى عمرو .. وفى هذا المؤتمر تقرر ان يروض الطالب المصرى نفسه على النظر الى الاشياءوبحثها علىحقيقتها، وان يتعود على قراءة التاريخ كما تقرر الاكثار من الاناشيد الوطنية وتلحينها ونشرها ووضع روايات

وطنية لاظهار الشخصية المصرية ، وقد قرر المؤتمر أيضا الاحتجاج على وجود الاحتلال والمطالبة بجلاء القوات البريطانية ..

وفى مذكرات محمد فريد اشارة الى تعيين الحكومة المصرية بعض موظفيها فى الخارج لمراقبة الطلبة الذين يدرسون خارج البلاد كتب محمد فريد عن وظيفة مراقبة الطلبة فى الخارج :

ـ تلك الوظيفة التى لم تفكر فيها الحكومة الا بعد هجرتى من مصر ومن غريب ما وصل الى علمى انه لما قابل هؤلاء المعينون اللورد كتشنر ليزودهم بنصائحه الغالية قال لمراقب جنيف ان مهمته ستكون شاقة نوعا ما . فظن احمد فهمى العمروسى ان اللورد يشير الى وجودى بها فأجاب :

ـ لا ، بل مركزى انا ، لان فريد يقيم الان بباريس وكنت بها فى ذاك الوقت فعلا فضحك اللورد ..

وقال محمد فريد أيضا :

قابلت العمروسى وعاتبته على قبول هذه الوظيفة التى اساسها الجاسوسية على سير الطلبة من الوجهة السياسية ليس الا .. مع انه كان ناظرا للمدرسة التجارية العليا بمصر فاعتذر بأنه موظف ولا يمكنه رفض ما تعينه فيه الحكومة ثم دافع قائلا :

ـ انه لا يتجسس ولا يقبل ان يكون جاسوسا .. وأضاف فريد :

ـ وسنرى عمله فيما بعد لنحكم عليه بما يستحق

واشار محمد فريد فى مذكراته الى احتجاج الطلبة المصريين الذين يدرسون بأوربا على قانون الجمعية التشريعية الجديد .. كما اشار الى ما كتبته بعض

الجـــرائد المصرية بمناســـبة المؤامرة الوهمية ضـــد كتشنر وما ذكره كتشنر حول جهود فريد فى بث روح الثورة بين الطلبة .

وفى مكان آخر من المذكرات يقول محمد فريد :

ـ وصلنا ليبزج الساعة ٨ صباحا ، وكان فى انتظارى الطلبة فرافقونى الى الفندق حيث حجزوا لى غرفة جميلة ، ثم اخـــذت فى تنســـيق الحفلة وتحضير ما سيقال ويلقى . وفى مساء الاحد ١٢ مايو تمت الحفلة على احسن نظام وكان النجاح باهرا حيث حضر الى الحفل نحو الف شخص تقريبا .. واسندت الرئاسة الى عبد الحليم افندى متولى وخطب اخوه عبد الغفـــار والمسيو ديمورنانت ـ استاذ العلوم التجـــارية ـ وانا وكتبت جريدة « الموز » تلخيصا عن الحفلة ونشرت بعض اجزاء من الخطب .. وبالاختصار كانت النتيجة سارة للغاية .. ثم سافرت فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاربعاء ١٣ منه الى جيملاوا بناء على دعوة من طلبة مدرسة الزراعة بها وقضيت الليلة هناك .

ووصلت الى لندن الساعة العاشرة من مساء الجمعة ونزلت فى فندق « ايديال » ضيفا على طلبتها .. وفى يوم السبت ١٦ منه اجتمعت الجمعية العمومية لنـــادى الطلبة المصريين تحت رئاستى وناقشت القـــانون ، ثم صدقت عليه .. وانتخبت عبد الحليم افنـــدى حلمى رئيسا ، واحمد زكى أبو شادى سكرتيرا ، وعباس طلعت صبور أمينا للصندوق .

ويقول محمد فريد :

● اتفقت أثناء هذه الرحلة مع هذه الجمعيات عـــلى عقد مؤتمر للطلبة بمدينة جنيف فى أواخر يوليو القادم

● دعتنى جمعية الطلبة بليون لحضور وليمة تقيمها يوم الجمعة ٢٩ مايو تدعو اليهـا اسـاتذة الجامعات وبعض المحـامين ورجال الحـكومة . وقـد ذكرت فى تـذكرة الـدعوة آن الـوليمة مقـامة اكراما لى بمناسبة وجودى بمدينة ليون .. فسافرت الى ليون يوم الاربعاء الموافق ٢٧ منه فى الساعة الواحدة بعد الظهر فوصلتها فى الساعة السادسة مساء .. اى فى السـابعة حسب التوقيت الفرنسى ونزلت فى فنـدق جيلوب واجتمعت بالطلبة أيام الخميس والجمعة وتمت الحفلة على غاية من الابهة والجلال وقد حضرها ١١٦ مدعوا من بينهم نحو ٢٠ من الطلبـة وحضرها شـيخ المدينة وأحد وكلائه والقيت خطب كثيرة فى تشجيع الحركة الوطنية .. وقـد نشرت الجرائد فى ٢٠ منه ملخصا عما دار فى الحفل ، عطفا علينا وعلى حركتنا ، ثم غادرت ليون يوم الاحد الساعة الثانية عشرة .. فوصلت جنيف فى السـاعة الرابعة حسـب التوقيت الفرنسى ، وسنشـتغل من الان فى تحضـير مؤتمـر الشبيبة الذى اتفق مبدئيا على جمعه فى أواخر يوليو

واشار محمد فريد فى مذكراته (٢٤ فبراير ١٩١٤) الى المأدبة المصرية التى أقامها السـيد دسـوقى بضواحى لندن .. وكان المدعون نحو ٤٠ شـخصا من خيرة الشبيبة « فتناولنا طعاما مصريا طهاه الشـبان انفسهم .. وقبل تناول الطعام وفى اثنائه تحدثنا كثيرا عن ضرورة تأسيس ناد للطلبـة وعينا على الفور لجنة لتنفيذ المشروع وقررنا ان كل عضو يدفع مبلغ نصف جنيه على الاقل لمصاريف التأسيس ، وكذلك كل عضو يريد الاشتراك يدفع مثل هذا المبلغ ، وقد وعدتهم بالعودة

فى شهر ابريل لافتتاح النادى بنفسى »

وتحدث محمد فريد عن سفره بعد ذلك الى اكسفورد « حيث كانت الجمعية المصرية مدعوة فحضر اعضاؤها كلهم وحضر بعض الهنود المسلمين لزيارتى ، وخطب كثير من الطلبة فى واجبات الوطن وفى ضرورة تخليص البلاد من المستعمر ، وكان يتخلل الخطب مدحى وتشجيعى على تحمل الالام والاغتراب. وأخيرا خطبت فيهم بما يناسب المقام .. ثم رافقنى الجميع الى المحطة عند عودتى الي لندن »

وأشار محمد فريد الى توديع مائة طالب له فى محطة لندن ، وقال عن رحلته الى الطلبة المصريين « كانت نتيجة هذه الرحلة باعثة على الامل وزيادة العمل لربط الطلبة ببعضهم وجمع مؤتمر من مندوبيهم .. واصبح هذا الامر محققا تقريبا ..

وأشار الى زيارته باريس مباشرة بعد لندن وحضوره اجتماع جمعية الطلبة المصريين .. فقال :

ــ دعيت لرئاسة الجلسة وكان موضوعها « الزواج فى مصر » وكان الخطيب عبده افندى البرقوقى .. وبعد انتهاء الخطبة والمناقشة فى بعض نقاطها ، تكلمت معهم فى ضرورة تاسيس جمعية أبى الهول بباريس .. فوافق كثيرون منهم ووعدونى بتأسيسها فى أقرب وقت »

ومافعله محمد فريد تجاه الطلبة المصريين بباريس قام به تجاه الطلبة المصريين فى كل انحاء أوروبا. لقدادى الشباب المصرى الذى كان يتعلم فى أوروبا قبل الحرب العالمية الاولى ـ دورا رائعاً فى خدمة بلده .. وكذلك يستطيع الشباب دائما ان يفعل فى كل زمان ومكان .

محمد فريد ..
ونقابات العمال .. والفلاحين ومؤتمرات السلام

اندفعت الحركة الوطنية بقيادة محمد فريد الى العمل الشعبى بكافة صوره توقظ الشعب وتعلمه وتثقفه وتجمع صفوفه ، وكان ابرز ما تميزت به قيـــادة محمد فـــريد الاهتمام البالغ بالفلاحين والعمال وتشكيل النقـــابات والروابط والاندية العمالية والدعوة الى منع اســـتغلال العمال والفلاحين .

بدات الحركة الوطنية بتاسيس مدارس الشعب .. وكانت أول مدرسة من هـذا النوع فى بولاق ، بدات فيها الدراسة فى نوفمبر عام ١٩٠٨ ، والقى الاستـاذ احمد لطفى الدرس الاول وكان عن الشئون الاجتماعية .. وكان برنامج هـذه المدارس يتناول القراءة والـكتابة ودراسة الدين والصحة والاحتياطات العامة والعناية بتربية الاطفال والمعـاملات والشئون الاجتمـاعية والحسـاب وتاريـخ مصر والتـاريخ الاسـلامى وجغرافيـة مصر والاخلاق والاداب « وقد تطوع الشباب واعضــاء الحزب الوطنى لتدريس هـذه المواد والقـاء الدروس الليلية على العمال وبلغ عدد المـدارس التى انشـأها الحزب عام ١٩٠٩ لتعليم العمال مجانا اربع مدارس فى احياء : الخليفة ، وبولاق ، وشبرا ، والعباسية تحوى كل منها نحو مائة وعشرين تلميذا من مختلف الحرف

وانتشرت هذه المدارس فى عواصم القطر وقد ساهم نادي المدارس العليا فى هذه الحركة اذ ألف لجنة لنشر مدارس الشعب وتولى اعضاؤه التدريس فيها »

ومما قاله محمد فريد في خطبة له بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩١٠ « يجب ان يكون قصدنا جميعا الوصول الى جعل التعليم الابتدائى الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية . اقول مجانيا لانه لا يمكن التوفيق بين الالزام ودفع اجر على التعليم ولان جعله مجانا للفقراء وبأجر للاغنياء فيه جرح لعواطف الفقراء من التلاميذ . فالديمقراطية الحقة والمساواة الحقيقية تقضيان بأن يكون التعليم الابتدائى مجانا لجميع طبقات الامة فقيرها وغنيها بلا تمييز »

وعنى الحزب الوطنى بتأسيس نقابات للعمال لترقية حالتهم المادية والمعنوية ، فأنشئت فى بولاق اول نقابة للعمال فى مصر باسم «نقابة عمال الصنائع اليدوية» ووضع الحزب قانونا لها من خير القوانين التى وضعت لنقابات العمال واتخذ لها مقرا بالسبتية تجاه مدرسة عباس وكان أول رئيس لهذه النقابة على ثروت بك ناظر مدرسة الصنائع بالمنصورة سابقا وقد ازدهرت النقابة وبلغ عدد أعضائها فى عام ١٩٠٩ نحو ثمانمائة عضو عدا الاعضاء المساعدين من غير العمال وحفل مقرها بالمحاضرات القيمة وسرت فكرة تأسيس النقابات فى العواصم فأنشئت نقابات لعمال المصانع اليدوية فى الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها ، على مثال نقابة القاهرة . وكانت صحف الحزب الوطنى تقف باستمرار الى جانب العمال

كتبت جريدة « اللواء » بتاريخ ٢١ أكتوبر عام ١٩٠٨

مقالا تحت عنوان : « اعتصـــام عمال شركة الترام ـ اهانة الطلبة » قالت فيه :

ـ الاعتصام حق من حقوق العمـــال يعمدون اليه عندما يصيبهم اصحاب رؤساءالاموال بأذىلايستطيعون عليه صبرا · وقد لجأ عمال الترام فى مصر الى استعمال هذا الحق لمـــا رأوا الشركة تسىء معـــاملتهم وتهضم حقوقهم وتغبنهم غبنـــا فاحشـــا . قابل المـلأ هـــذا الاعتصام بالارتياح لما كانوا يعلمونه من معاكسة الشركة لهؤلاء العمـــال معاكسة دفعتهم الى استعمـــال هـــذه الوسيلة التى لا يؤاخذهم احد على الالتجاء اليها حيث انها الطريقة الوحيدة التى يستطيعون بها الحصول على حقوقهم المهضومة وقد اعجب الناس بهذه الحركة أيما اعجاب عندما رأوا العمال متدرعين بالسكينة وملتزمين الرزينة فلم يسمع لهم جلبة ولا ضوضـــاء ولم تسند اليهم تهمة تعد ، ولم يخلوا بقانون او لائحة · ولم يكن اعجاب النـــاس بهـــذا الامر أقل من اعجابهم بموقف الحكومة ازاء هذه المشكلة فانها لم تعمل على التوسط بين الشركة والعمـــال حتى يحسم الخـــلاف ويرأب الصدع بل انها عمدت الى مساعدة الشركة بكلالوسائل فأوعزت الى رجال البوليس بمطاردة العمـــال مطاردة المجرمين ومعاملتهم معاملة الجانين ، فأخذوا يهجمون عليهم فى مخـــازن الشركة ويصـــوبون عليهـــم أفـــواه المضخات ويسوقونهم على الارض ويزجونهم فى السجون

وقد مثـــل رجال البوليس فى الجيـــزة فصـــلا من فصول هذه الرواية المحزنة وتعـــدت معاملتهم السيئة الى بعض الطلبة فأهينوا اهانة شنيعة وعوملوا معاملة لا يعاملها اسفل الطبقات فى الامم البربرية والى القراء

تفصيل هذا الحادث المحزن :

احتل عمال الترام مخزن الشركة فى الجيزة ورقدوا على الشريط وبين المركبات وأمامها فأراد رجال البوليس استعمال القوة لاخراجهم من المخزن وكان على مقربة من مكان الحادث بعض طلبة مدرسة الزراعة فحركتهم الشفقة الانسانية الى التدخل بالحسنى بين رجال البوليس والعمال فكبر على رجال الامن هذه الجرأة من الطلبة وأوسعوهم اهانة وصوبوا عليهم افواه المضخات حتى اصبح الطلبة فى حالة يرثى لها .. هذا ملقى على الارض وذاك غريق فى مياه المضخات والاخر يتأوه ويتأفف مما عليه من الملابس التى نفذ منها الماء الى جسده .. وبالجملة كان المنظر مؤثرا والحالة محزنة .

واننا لا ندرى ما قيمة الطالب فى نظر رجال البوليس وكيف يخولون لأنفسهم معاملته معاملة فرد من احط الطبقات واسفلها »

وعند انشاء النقابة الزراعية الاولى فى مصر كتب امين الرافعى فى جريدة « اللواء » فى ٢٣ يناير عام ١٩١٠ ما يلى :

« النقابة الزراعية الاولى فى مصر »

ـ اصبحنا نشعر بحاجة البلاد الى وجود نقابات زراعية تضمن للفلاح مستقبله الزراعى وتحميه من جشع المرابين الذين يتخذون من ضعفه وسيلة لابتزاز أمواله وتعمل على ترقية الزراعة التى هى اساس ثروة البلاد .. اصبحنا نشعر بهذه الحاجة واخذ الداعون الى انشاء هذه النقابات وفى مقدمتهم حضرة العالم العامل

عمر لطفى بك يطوفون البلاد ويبثون هـذه الفكرة بين المزارعين .. ونحن يسرنا ان تجد هـذه الدعوة موقع الاجابة من القلوب ويتضافر القوم على تحقيق هـذه الفكرة الجليلة واخراجها الى حيز التنفيذ .

● يسرنا ان نزف للمزارعين بشرى تهتز لها القلوب فرحا ، وهى انشاء نقابة زراعية وذلك فى بلدة شـبرا النمله فقد توجه اليها سعادة عمر لطفى بك اول امس وقام بعمل عقد ابتدائى بين كثيرين من اهل هذه البلدة حتى تصدق الحكومة على القانون الخاص بالنقـابات الزراعية .

● يسرنا ان نزف لقراء « اللواء » هـذه البشرى فانهـا خير فاتحة لنجاح ذلك المشروع الجليـل الذى يستفيد منه الفلاح فائدة ترفع من شـأنه وتضمن له مستقبـله وتكون له خـير عون على الافات الزراعيـة والمرابين والمفالين وتجعله فى مصاف اخوانه الفـلاحين بالبلاد الاخرى

● وفى يوليو عام ١٩٠٨ طالب محمد فريد فى مقال له نشر فى جريدة « الديلى نيوز » البريطانية بوضع قوانين لحماية العمال قال فيه :

● لا يوجد بمصر قوانين خاصة ، حتى الآن لحماية العمال ولا قوانين تحدد سنهم ولا عدد الساعات التى يجب ان يمضوها فى العمـل .. فنجد العمـال مثقلى الـكواهل بلا رحمة وخصوصا عمـال الدخان وعمـال حلج القطن حيث يشتغل الاطفال ذكورا واناثا .

وتحدث محمد فريد مرة أخرى عن الحركة التعاونية ونقابات العمال ونادى بالعناية بنقـابات العمـال وبث مبدأ التضامن بينهم والدفاع عن حقوقهم واستصدار

القوانين التى تضمن لهم عدم التكفف عند الشيخوخة او عقب الاصابة بما يمنعهم من الكسب .. ثم قال :

ـ نرى الان العامل الماهر اذا سقط من شاهق او اذا قطعت يده مثلا يطرده مستخدمه دون ان يرتب له شيئا يقوم بأوده ودون ان يجد من الحكومة عونا ونصيرا كما يجد اخوه الاوربى بل ولا يجد نقابة تساعده على تربية اولاده فيسأل الناس سرا وعلانية ويذهب ضحية هذه الفوضى ، ولا راحم ولا معين ولا مخلص للعامل من هذا الجحيم الا النقابات فتعالجه اذا مرض وتصرف له الادوية اما مجانا او بثمن قليل واذا مات ساعدت على تربية اولاده واذا اصيب بما يمنعه من الكسب رتبت له ما يقيه ذل السؤال مقابل قليل من المال يدفعه شهريا

وعندما اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطنى فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٠٨ تحدث محمد فريد عما قامت به الحركة الوطنية تجاه الاحوال الزراعية والنقابات الزراعية والعناية الصحية بالفلاح وتأمينه على نفسه وماله ومحصوله .

وعندما اجتمع المؤتمر الوطنى فى ٧ يناير عام ١٩١٠ فى دار جريدة « اللواء » تحدث محمد فريد عن الفلاح المصرى الذى يتحمل اكبر جزء من الميزانية المصرية « فكلكم تعلمون ان لجان تعديل الضرائب جعلت اساس تقديرها ان تكون الضريبة بنسبة ٢٨ فى المائة من الايجار بحيث لا يزيد ما يدفع عن الفدان من ١٦٤ قرشا . ولكن من الغريب ان التجار لا يدفعون شيئا وكذلك المصارف واصحاب الاموال المنقولة على العموم فمن اشترى بجميع امواله اسهما من البنك العقارى او

الاهلى مثلا لا يدفع للحكومة شيئا فى حين ان الفلاح الصغير الذى يملك قيراطا او فـــدانا يدفع ثلث ايراده واذا نقص المحصول او اتلفته الدودة باع ماشيته لدفع غائلة الصراف ومنعه من بيع ملكه تسديدا لمال الحـكومه الذى يبدد باليمين والشمال »

وطالب محمد فريد الـكتاب والخطباء ان يشرحوا للرأى العام مدى ما يصيب الفلاح من الظلم الفـادح فيحمله ما يقصم ظهره من الضرائب وحتى يمكن اعضاء الشورى ان يجعلوا لهذه المسألة نصيبا من اهتمامهم وقت درس الميزانية للعام المقبل ١٩١١ ، « ويجب على المشـتغلين بتشـكيل النقـابات الزراعيـة ان يهتموا بايجادها حتى تشتغل بتخفيف الضرائب عن الاطيـان وتحسين حالة الفلاح المسكين الذى يكد طول عامه هو وزوجته واولاده ولا يحصل الا على القوت الضرورى من الذرة واذا نقص محصول القطن عن سداد ما عليه من الايجار اخذ منه محصول الذرة كله او بعضه . . فانظروا الى هذا التعس الذى عليه اسـاس العمران بمصر والذى لم تتغير حالته المعيشية بل هى حيـــاة بؤس وشقاء وجهل لا يماثله فيها فلاح آخر ، الفـــلاح المصرى اتعس فلاح فى العالم اتعس من الفلاح الروسى الذى يضرب بشقائه المثل ولا خلاص له من هذه الحالة الا بنشر التعليم الابتدائى وجعله اجبـاريا وبتشكيل نقابات زراعية للدفاع عن حقوقه امام الحكومة وامام الملاك الذين يزيدون الايجارات بمناسبة وغـير مناسبة وأمام المرابين الذين يأخذون منه ما يبقى لهم بعد جشع الملاك وظلم الحكومة »

وقال محمد فريد أيضـا :

ـ العمال فى بلادنا مهملون كالفلاح فلا قانون يلزم المقاول بدفع تعويض لمن يموت شهيد عمله أو يفقد احد أعضائه فيصبح عديم الكسب ومن الامثال العامة ان « الفاعل ديته اجرته » ولم تفكر الحكومة فى الدفاع عنه فهى كما قلنا وقررنا لا تهتم الا بدفع فوائد الديون وهى شبه شركة لاستغلال وادى النيل .. فنقابات العمال قوة هائلة تخضع لها الحكومات وتطاطىء راسها امامها . ولقد اصبح حزب العمال فى انجلترا من الاحزاب المسموعة الكلمة ممن كرسوا حياتهم لخدمة هذه الطبقة من الاهالى مثل المستر كيرهاردى واخوانه وبفضل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين فى انجلترا وفرنسا والمانيا تضمن لكل من يعمل فى الصناعة او الزراعة معاشا سنويا متى بلغ سنا معلومة ولم يكن لديه ما يسد به الرمق ويمنعه من التكفف . ولقد كان هذا القانون بانجلترا هو الباعث على تغيير اساس ربط الضرائب وتحمل جزء عظيم لاصحاب الاموال من اللوردات والاغنياء ونشأت عن ذلك هذه الازمة المالية الاقتصادية التى ربما جرت الى الغاء مجلس اللوردات أوعلى الاقل جزء عظيم من اختصاصاته كل ذلك بفضل العمال ونقاباتهم ومجهوداتهم .. ولا سبيل لايجاد مثل هذه الحركة المباركة فى مصر حتى يصبح العامل والمزارع فى مأمن من الفقر والتكفف ضد الشيخوخة أو المرض او لتحسين حالته المعيشية الا بالاكثار من فتح المدارس الليلية فى المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم اهمية النقابات وشركات التعاون ولقد بدأ حزبنا المبارك فى تنفيذ هذه الفكرة فانشأ فى العاصمة اربع مدارس للصناعة فى

أحياء الخليفة ، وبولاق ، وشبرا ، والعباسية تحوى كل منها نحو مائة وعشرين تلميذا من حرف مختلفة . فنجد النجار بجانب صانع الاحذية وقاطع الاحجار بجانب الطباخ .. وهكذا كلهم متشوقون للتعليم باذلين جهدهم فى التحصيل حتى ان الطالب منهم ليتمكن من القراءة والكتابة فى أقل من ستة شهور وقد انتشرت هذه الحركة فى كثير من مدن القطر والقرى بفضل المخلصين العاملين من رجال الحزب الوطنى ومن غيرهم ولم يكتف انصار العمال بذلك بل أسسوا بقسم الخليفة جمعية للخطابة تعقد جلساتها مساء كل يوم خميس ليخطب فيها المعلمون والعمال بأنفسهم بعبارة تكاد تكون صحيحة . ولقد حضرت احدى هذه الجلسات مع بعض الاخوان وسمعنا ما القاه اثنان من اعضائها وهما من صانعى الاحذية وكان كلامهما دائرا على وجوب اتقان الصناعة لمزاحمة الاجانب وسنسعى فى عامنا هذا الجديد فى تعميم هذه المدارس والجمعيات فى جميع اقسام المحروسة وقال محمد فريد فعليكم بنشر مبادىء التعليم بين هذه الطبقة التعسة وتأسيس المكاتب الليلية ومساعدة النقابات بأموالكم وآرائكم ، وعلى رجال الشبيبة الحرة التبرع بالقليل من وقتهم فى القاء الدروس والمحاضرات النافعة فى هذه المدارس والجمعيات حتى يترقى العامل الفقير ويدرك ان له حقا فى ان يعيش بمشيئته لا كميشة البهائم ..

وقال محمد فريد :

« ارجعوا البصر الى حال العمال فى مصر ، سواء عمال المصانع أو الزراعة واقصد بهم جماعة الفلاحين

الذين لا يملكون ارضا ويعيشون من العمل باليومية او من استئجار الاراضي وانظروا الى تحكم الشركات الاجنبية مثل شركات الترام والسكك الحديدية وما شاكلها فى العمال وانظروا الى الفلاح المستأجر والى ما يفرضه عليه مالك الارض من الايجار الباهظ تجدوا انهم فى اخطر درجات الفقر فالعامل لا يحصل على قوت يومه الا بعد ان يشتغل اثنتي عشرة ساعة كل يوم على الاقل والفلاح لا يصل الى ما يسد الرمق من اردأ انواع الخبز بلا ادام الا بشق الانفس كل ذلك ناشيء من فقدان مبدأ الاجتماع والتضامن بينهم واهمال اغنياء البلد كل ما يتعلق بامورهم الخاصة وعدم التفات الحكومة الى ترقية شأن العامل والفلاح . والاحتلال يريد ان تبقى هذه الطائفة كقطيع الغنم يؤمرون فيطيعون عائشين عيشة السائمة جاهلين حقوقهم وحقوق بلادهم ولا دواء لهذا الداء العضال الا بالدستور فارفعوا صوتكم وابحثوا عن طرق الحصول عليه والا فلا أمل فى تحسين هذه الحالة التى تسير من سيء الى اسوأ وستنزل بالامة الى الدرك الاسفل من الاستعباد والاسترقاق » .

وكان اهتمام محمد فريد بمشاكل العمال والفلاحين وسعيه المتواصل لضم صفوفهم وتوحيد جهودهم من ابرز مظاهر الحركة الوطنية . وكانت وسائل محمد فريد لتحقيق الاهداف الوطنية كما قال الاستاذ احمد بهاء الدين فى كتابه « أيام لها تاريخ » ..

« تعلم الشعب على قدر الطاقة ليكون اكثر بصرا بحقوقه وتكتيله فى تشكيلات ليكون اكثر قوة وارتباطا ثم توجيهه الى هذه الاهداف فى قوة متدرجة

منظمة راسخة » . لقد انشأ محمد فريد مدارس ليلية فى الاحياء الشعبية لتعليم الاميين الفقراء مجانا وعهد بالتدريس فيها الى رجال الحزب الوطنى وأنصاره .. وانشا أول الامر اربع مدارس فى أحياء بولاق والعباسية والخليفة وشبرا ، ثم انتشرت مثيلاتها فى الاقاليم ووضع فريد أساس حركة النقابات فانشأ أول نقابة للعمال فى عام ١٩٠٩ وهى نقابة عمال الصناعات اليدوية ووضع لها قانونا وأنشأ لها مقرا

وكتب عبد اللطيف حمزة فى كتابه « المقالة الصحفية فى مصر » جزء ٨ يقول :

ــ فى عام ١٩٠٨ نجح عمال الدخان بعد اضرابات كثيرة قاموا بها فى أن يؤلفوا لانفسهم نقابة ينتمون اليها ويعملون بتوجيهها وحذا حذوهم فى ذلك عمال الترام ثم تألفت نقابة ثالثة من إصحاب الصناعات اليدوية فى عام ١٩٠٩ ولم يكن من الغريب ان نجد الحزب الوطنى يتنبه منذ يومئذ الى خطورة هذه الطبقة الجديدة التى ظهرت فى المجتمع المصرى وهى طبقة العمال واخذ يشجعهم فى الحركات التى قاموا بها ضد الشركات والمؤسسات ومن ذلك التاريخ ارتبطت الحركة العمالية فى مصر بالحركة الوطنية وحركة التحرير القومى

وكتب امين عز الدين فى كتابه « تاريخ الطبقة العاملة فى مصر » يقول :

ــ كما شهدت هذه الفترة ايضا تشكيل اول نقابة لعمال الترام باسم جمعية عمال ترام القاهرة فى ٨ مارس عام ١٩٠٩ فكانت الوريث التاريخى للجمعية التى قادت اضراب عام ١٩٠٨ ونعتقد انها تبددت او اصيبت بالجمود فى اعقاب الاضراب ومن المؤكد ان رجال

الحزب الوطنى البارزين قد اسهموا فى تشكيل هـذه الجمعية الجديدة واختير من بينهم اعضاء شرف بها مثل عمر لطفى واحمد لطفى وغيرهما . وشهد عام ١٩٠٩ ايضا نشاطا كبيرا للحزب الوطنى وسط عمال السكك الحديدية وخاصة عمال العنابر .. ففى ٣ اكتوبر عام ١٩٠٩ افتتحت نقابة الصناعات اليدوية وليدة الحزب ــ نادى السبتية ــ واتخذته مقرا لنشاطها ، وكان عمال السكك الحديدية يشكلون القطاع الاكبر من عضويته حتى لقد اطلق عليه نادى السكك الحديدية ولعب هذا اللقاء بين الحزب وعمال المرفق دورا هاما فى دفع العمل الجماعى فى صفوفهم

وعندما اعلن عمال الترام اضرابهم الكبير فى ٢١ اكتوبر عام ١٩٠٨ الذى استخدمت فيه سلطات الاحتلال كل ما تملك من قوة من بينها جر العمال بالحبال ومطاردتهم بالفرسان والقبض على اكثر من مائتى عامل وزجهم فى السجون وتقديمهم للمحاكمة وصدور احكام ضدهم . عندما قام هذا الاضراب كشف عن مواقف سياسية متباينة من الاحزاب الوطنية وصحافييها

فالحزب الوطنى ــ جريدة « اللواء » ــ ناصر العمال مناصرة كاملة الى حد جعل خصومه السياسيين يتهمونه بتدبير الاضراب قبل اعلانه بأيام .. فقد نشرت جريدة « المؤيد » فى ١١ اكتوبر عام ١٩٠٨ تحت عنوان: « اشاعة اعتصام عمال الترام »

« جاءنا التلغراف الاتى امس من محطة مصر يكذب ما نشر امس فى بعض الجرائد من ان محمد فريد بك واحمد افندى حلمى شكلا عصابة من مستخدمى الترام للاعتصام يوم تشريف الجناب العالى اذا لم تجب

الشركة ما يطلبونه .. ونصرح على رؤوس الاشهاد انه ليس لنا ادنى اتحاد مع رجال حزب الغوغاء الطائش فان غاية جمعيتنا وشعارها الحق والدفاع عن حقوق المظلومين بلا تدخل فى السياسة والدين ..

توقيع : رئيس جمعية الدفاع عن حقوق العمال »

● ولكن هذا التكذيب لا يمكن ان يمس موقف العطف والتأييد الذى اتخذته جريدة « اللواء » تجاه مطالب العمال واضرابهم ومتابعتها احداث الاضراب ونشرها ايرادات الشركة خلال عامى ١٩٠٧ – ١٩٠٨ والتى بلغت ٦ر٧٧٣ر٧٧٢ فرنكا بزيادة ١١٠ر٦٨٠ فرنكات عن العام السابق ..

وعن دور الصحافة قال امين عز الدين :

– تصدت جريدة الحزب الوطنى للدفاع عن العمال الذين يتحول عرقهم ذهبا فى يد صاحب العمل وشرعت جريدة « المقطم » لسان حال الاحتلال تحذر من حركة الطبقة العاملة وتلوم الحكومة على غفلتها عن خطورة هذه الطبقة . « فماذا يمنع ان يدبر العمال المكائد والمؤامرات ليضربوا فى البلاد نيران الثورات قبل ان تعلم الحكومة بأمرهم »

هذا ولا يشك كثير من الباحثين فى تاريخ الحركة النقابية مثل جان فاليه والمرحوم محمد حلمى ابراهيم والدكتور حسين خلاف فى ان الحزب الوطنى كانت له يد فى تنظيم هذا الاضراب وتحريكه .

وفى ٨ مارس عام ١٩٠٩ وبفضل معونة الحزب الوطنى ورجاله انعقدت الجمعية العمومية لعمال ترام القاهرة وحضر الاجتماع بعض الاعيان ونحو مائتى عامل من عمال الترام وتم انتخاب ادريس راغب وعمر لطفى

واحمد لطفى واغلبهم من رجال الحزب الوطنى ـ اهرام ٨ مارس عام ١٩٠٩ ـ ولعل ابرز النقابات وأهمها فى هذه الفترة هى نقابة الصناعات اليدوية التى تأسست عام ١٩٠٩ بفضل جهود الحزب الوطنى ورعايتـه لها وكانت هذه النقابة تجسد ملامح المرحلة من حيث استقلالها عن العمال الاجانب ومن حيث قيادتها الوطنية ونفوذها ومن حيث التقاء العمل الوطنى والثقافى فى اعمالها .

● وعندما تولى محمد فريد قيادة الحزب فى ١٤فبراير عام ١٩٠٨ لاحظ تحولا فى خطة الجهاد ممـا يؤكـد اتجاه الحزب نحو الطبقة العاملة والرغبة فى الدفاع عنهم كجزء من نشاطهم اليومى وكرصيد شعبى له فى العمل الوطنى ، ولم يقف محمد فريد عند حد التعاطف والتأييد للطبقة العاملة وحركتها بل لم يلبث أن اتخـذ الحزب خطوات تنظيمية هامة سـارت فى اتجاهين متوازيين هما : أولا ـ الاتجاه نحو انشـاء مدارس الشعب لتعليم العمال .. ثانيا ـ الاتجاه نحو انشاء نقابة الصناعات اليدوية التى تعد بحق اكبر تنظيم عمالى فى مصر طوال الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى فهى تجسد الملامح الاساسية التى اتسمت بها حركة الطبقة العاملة فى هـذه المرحلة (١٩٠٧ ـ ١٩١٤) من حيث كونها نقابة وطنية فى عضويتها وقيـادتها ومن حيث ارتباطها بالعمل الوطنى لما كان يرسمه الحزب الوطنى ويقوده كما كانت هذه النقابة مركزا للالتقاء الواقعى بين الطبقة العاملة والمثقفين الوطنيين ليس فقط فى نشاطها اليومى بل وفى نظام عضويتها .

وقد لعب الزعيم الخالد محمد فريد دورا هاما فى

دفع حركة المطالبة بالتشريعات نحو النضج عندما نشر سلسلة من المقالات عام ١٩٠٨ ينتقد فيها سياسة الحكومة ازاء العمال ويطالبها باستصدار القوانين الكفيلة بحمايتهم وتعويضهم . وتعتبر هذه المقالات بحق بداية الانطلاق الواسع لهذه الحركة وبلوغها قمة نشاطها فى الاعوام السابقة على الحرب مباشرة فلم يخل التقرير السنوى الذى كان يلقيه رئيس الحزب الوطنى فى الجمعية العمومية للحزب من اشارة الى ضرورة العمل على اصدار تشريعات العمل والضغط على الحكومة من اجل تحقيق ذلك »

واتصلت افكار محمد فريد ـ كما يقول شهدى عطية الشافعى فى كتابه « تطور الحركة الوطنية المصرية » (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) بالتيار الاشتراكى فى اوربا ، ومن ثم بدأ يتجه بالحركة الوطنية وجهة جديدة الا وهى الربط او محاولة الربط ما بين حركة المثقفين وحركة الطبقة العاملة الناشئة فزاد اهتمام الحزب الوطنى بانشاء مدارس الشعب الليلية لتعليم العمال مجانا كما جاء فى تقرير لمحمد فريد وأنشئت أربع مدارس يضم كل منها قرابة ١٢٠ تلميذا فى مختلف المهن . وقد ساهم نادى المدارس العليا فى هذه الحركة التعليمية واكثر الحزب من الاهتمام بنقابات العمال فساهم فى وضع قانون عمال المصانع اليدوية فى عام ١٩٠٩ وكان محمد فريد واضحا حين قال فى خطبة له :

« اشرحوا للعامل ، اخرجوه من الظلمات الى النور اشرحوا له حالة اخوانه فى اوربا وما هم فيه من سعادة نسبية بفضل العلم والاتحاد والتضامن وكان لهذا اثره فى زيادة قوة الحركة الوطنية »

وهكذا استطاع الحزب الوطنى ان يجذب العمال الى المعركة السياسية نتيجة اشتغاله بين صفوفهم .. بل لقد اهتم محمد فريد بالعمال الزراعيين .

وبعـد نفى محمد فريد ــ خارج مصر ــ لم تنقطع صلته بالنقابات ولم يقل اهتمامه بانشاء نقابات جديدة

ارسل محمد فريد ــ وهو فى المنفى ــ خطابا بتاريخ ٢٢ ابريل عام ١٩١٣ الى عبد الرحمن الرافعى عندما بلغه ان الرافعى يعد كتابا عن « التعاون » يقول فيه :

« لم اسمع من مدة بتشكيل نقابات جديدة او شركات تعاون او اى شىء آخر من هــذا القبيل مع انــه لو قام كل فرد منكم بتاسيس جمعية اقتصادية فى دائرته لبلغ عددها فى وقت قليل العشرات بل المئات ولذلك ارى أن اشــتغالك بالتــأليف لا يجب ان يمنعك من الاشتغال عمليا فى تأسيس النقابات »

ويطلب فريد من الرافعى ان يعد تقريرا يعرض على المؤتمر الوطنى الذى سيعقد فى جنيف يتنــاول حالة النقابات فى مصر وتاريخها وبعض احصائيات عنها وعن اعمالها « لنظهر للعالم شيئا من أعمالنا العملية ونبرهن على ان حزبنا حزب تعمير لا حزب تخريب كما يتهمونه »

أما فيما يتعلق بمؤتمرات الســلام فنــذكر هنا ان محمد فريد قبل ان يدخل السجن قد دعا الى تأسيس جمعية باسم جمعية السلام العام فى وادى النيل تكون لها علاقة رسمية بمكتب السلام الدائم فى برن «سويسرا» وذلك لــكى يمكن لمصر الاشــتراك فى مؤتمــرات السلام ، وقد لبى الدعوة كثير من أبناء مصر ، وتم تاليف هذه الجمعية وهو فى السجن وانتخب رئيسا لها وكان محمد فريد يعتز برئاسته لهذه الجمعية حتى انه كان

يوقع بوصفه رئيس الحـــزب الوطنى ورئيس جمعية السلام العام فى وادى النيل ، وحتى فى كتابه « المسألة الشرقية » ذكر تحت اسمه هاتين الصفتين .

وقد بدأ محمد فريد يهتم بمؤتمرات السلام التى عقدت ١٧ مرة قبل ان تعقـــد مؤتمرها عام ١٩١٠ فى استوكهلم وكان محمـد فريد أول مصرى يشترك فى هذه المؤتمرات وقد خطب محمد فريد فى هذا المؤتمر وشرح وثائق القضية المصرية ونجح فى ان يجعل المؤتمر يتخذ قرارا باظهار عظيم العطف على الشعب المصرى واحالة القضية الى المؤتمر القادم ، الذى تقرر عقده فى روما عام ١٩١١ ثم حالت ظروف الحرب الايطالية الطرابلسية دون عقده وكان بعض قادة الحزب الوطنى يعارضون فى اشتراك مصر فى مؤتمر السلام الذى تقرر عقده فى روما احتجاجا على عدوانها على ليبيا .. وقد ارسل عبد الحميد سعيد الى محمد فريد ـ فى منفاه ـ يسأله :

ـ ماذا ستقولون فى مؤتمركم وقد اجتمعتم بعاصمة دولة مزقت القانون الـــدولى كل ممـــزق ، وضربت بالعادات المرعية والاداب السياسية عرض الحائط اذ باحتلالها طرابلس تكون هى وقرصـــان البحر الاحمر سواء .. دع عنك فكرة مؤتمرات السلام وجمعيـــات التصالح والوئام ، فالكلمة اليوم للمدفع وهو صـــاحب الحق فى جميع الاحوال كما كان ذلك شـــأن السيـــف والرمح فى سالف الزمان وسيبقى الحق للقوة الى ما شاء الله أو تتغير طبيعة الانسان » .

ويختم عبد الحميد سعيد خطـابه بقوله مخاطبـــا محمد فريد : « ارجعوا الى وطنكم التعيس يرحمكم الله ،

وفكروا فى طريقة اخرى لخلاصه »

والجدير بالذكر ان جمعية السلام التى انشئت فى مصر ليتسنى لمندوبيها حضور مؤتمرات السلام العام قد تألفت ومحمد فريد فى سجنه كما انها قد اختارته لرئاستها ، وهو فى السجن أيضا.. وكان مجرد انشاء هذه الجمعية فى بادىء الأمر ، اشبه بالمعجزة ، لان الناس كانوا يخافون من الانضمام اليها ويفاخرون فى الصحف بأنهم رفضوا الاشتراك فيها ولم يكتمل النصاب القانونى المطلوب لتشكيل الجمعية وهو سبعة أفراد — الا بشق النفس ! !

يقول محمد فريد عن مؤتمر السلام العام الذى انعقد فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩١٢ :

« فى جنيف عرفت ان الحكومة المصرية كانت تبذل جهدها بواسطة سفراء انجلترا لطلب تسليمى حتى ان جريدة « المقطم » ذكرت فى احد اعدادها ان الحكومة تنتظر تلغرافا من ساعة الى أخرى ينقل خبر القبض على ونشرت جرائد سويسرا صبيحة وصولى ان المخابرات دائرة بين مصر وسويسرا لهذا الغرض . ولكنى تأكدت فيما بعد من معارفى بمجلس نواب سويسرا ان الحكومة السويسرية لم تتلق اى خبر من مصر بهذا الخصوص »

وبعد ان يروى محمد فريد قصة انتخابه وكيلا لهذا المؤتمر عن المصريين يقول :

« كنا اكثر من ١٢ عضوا وكان محمد الهندى فهمى ضيف جنيف قد اعد تقريرا مطولا عن المسألة المصرية ادرج فى مجموعة اعمال المؤتمر وكان بعض الطلبة المصريين قد احتجوا على تسمية نفسه رئيسا للجنة الشعبية المصرية الدائمة لاوربا وقدموا هذا الاحتجاج

لسكرتير المؤتمر قائلين انهم لايريدون ان يمثلهم هـذا الانسان وان لجنته لا وجود لها .. وفى أثناء المؤتمر كان موجودا محمد بدر الدين بك رئيس قسم الضباط بمصر حيث الى لمراقبتى ومراقبة الطلبة فكاتب احمد افندى سلطان الطالب بالطب هنا وكان من اعضاء

نادى المصريين بالاستانة وطلب مقابلته فأطلعنى على التذكرة وأخذ رأيى فنصحته بالمقابلة فقابله وعرض عليه ان يكون جاسوسا علينا فقبل بناء على رأيى ثم سافر الى باريس ومنها الى رومانيا والاستانة حيث

قابل الخديو وظل يرسل لى تقارير بما يرى ويسمع ، ولكنه خاننا آخر الامر وقطع مكاتباته وأصبح جاسوسا حقيقيا وعين له مرتب ١٢ جنيها ، ثم عين فى الاوقاف الخصوصية » .

وفى هذا المؤتمر طالب محمد فريد بالجلاء فورا .. وقد عارض الاعضاء الانجليز فى المؤتمر وقامت معركة بينه وبين المستر ماريسون من اعضاء مجلس العموم البريطانى ، وقرر المؤتمر استنكار استخدام وسائل القوة فى مصر ، وضرورة الجلاء فى أقرب وقت ممكن واعادة تأسيس حكومة ذاتية فى مصر .

ويروى محمد فريد قصة اشتراكه فى مؤتمر السلام عام ١٩١٣ فيقول :

« فى ١٥ اغسطس عام ١٩١٣ سافرت من جنيف الى مملكة هولندا ، لحضور مؤتمر السلام العام بها وكان معى عبد الملك افندى حمزة ، ومحمد على محمد المهندس ، ومحمد افندى السادة ، وسيد افندى منصور ، وهذان الاخيران من طلبة العلم فى باريس.. سافرت بالسكة الحديد الى مدينة كوبلانتر بالمانيا ، ثم

ركبنا باخرة فى نهر الراين الى كولونيا ومنها ركبنا القطار الى عاصمة هولندا « لاهاى » فوصلنا قبيل منتصف الليل .. حضرنا اغلب جلسات المؤتمر ولكن لم يسمح لنا بالتكلم فى المسألة المصرية حيث كان المؤتمر السابق قد نظرها واتخذ فيها قرارا ولم يجد بها شيئا يستوجب بحثها من جديد .

وفى ليلة ١٦ اغسطس عام ١٩١٣ نشرت الجرائد المدنية تلغرافا يفيد اكتشاف مؤامرة لقتل اللوردكتشنر وان المكلف بالقتل شاب مصرى من طلبة العلم بهولندا ممن لهم علاقة متينة بى وسافر الى مصر خصيصا لتنفيذ القتل فأخذ الجميع يتساءلون عما اذا كنت انا المقصود بالتلغراف وقد التصق بنا ضابط قديم قدم نفسه الينا مظهرا ميله واستعداده لمساعدتنا فى أى امر ، ثم سألنى عن هذا الخبر وقال انه يعرف مدير البوليس وسيقابله ويخبرنا بكل ما يعرفه أو يسمعه بهذا الخصوص وغلب على ظننا ان الرجل مكلف بمراقبتنا » .

ويكتب محمد فريد فى مذكراته عن مؤتمر السلام العام الذى عقد فى لاهاى فى اواخر ابريل عام ١٩١٥ :
« سافرنا الى لاهاى عاصمة هولندا لحضور مؤتمر سلام للسيدات »

« اما المؤتمر فكانت اعماله كلها مناقشات نظرية لا تفيد شيئا فى ايقاف الحرب أو منعها فى المستقبل .. على ان النساء برهن فيه على كمال استعدادهن فى الخطابة والمناقشة وحفظ النظام » .

وبطبيعة الحال لم يعد هناك مجال لعقد مؤتمرات سلام والحرب العالمية الاولى على اشدها وملايين البشر

تلقى مصيرها المحتوم على ايدى ملايين أخرى ..

وبدأت ـ وبعد أن انتصرت الاشتراكية فى روسيا ـ مؤتمرات الاشتراكيين تأخذ جانبا من اهتمام محمد فريد ورفاقه ، وقد كتب محمد فريد عن مؤتمر « الاشتراكيين » الذى عقد فى برن عام ١٩١٩ يقول :

ـ فى زيورخ قضيت تسعة أيام مع الشيخ صالح الشريف وقابلت عزيز عزت باشا ، ثم سافرت الى سان مورتس يوم الثلاثاء ١٠ منه واقمت بها حتى يوم الاربعاء ٢٢ يناير ، أى بعد أن قضيت بها ٤٣ يوما فى الاكل والنوم والراحة التامة .

فى أثناء ذلك لم يحدث ما يستحق الذكر الا مسألة تقرير اجتماع مؤتمر الاشتراكيين فى برن ، ومسألة مجىء ولسن الامريكى الى أوربا لحضور مؤتمر الصلح وقبل اجتماع مؤتمر الصلح حررت لجنة الحرب الوطنى تلغرافا الى رؤساء اللجان الدولية فى المؤتمر المذكور يطلبون استقلال مصر وبلغونى ملخصه تليفونيا فوافقت عليه وصرحت لهم بوضع اسمى عليه ، وكانوا قد أرسلوا تقريرا مطولا الى ولسن على يد « قنصل جنرال » امريكا فى برن تعرفوا به بواسطة رجل مجرى، ولذلك جهزوا تقريرا آخر ، ليقدم لمؤتمر الاشتراكيين لذلك استحسنت أن اسافر الى برن للاطلاع على نص هذا التقرير والتوقيع عليه وللاجتهاد فى مقابلة بعض من اعرفهم من أعضاء المؤتمر فسافرت يوم الاربعاء ٢٢ يناير وقضيت الليلة فى زيورخ ثم سافرت منها فى اليوم التالى الى برن وكان معى عبد الملك حمزة ، الذى كان قد حضر لقضاء بضعة أيام معى فى سان مورتس بعد ان قضى اكثر من اسبوعين فى مدينة اوسا مع الدكتور

مرسى الخولى المريض والمقيم بها منـــــذ نحـــــو ثلاثة اعوام ، فى برن وجـــدت جاويش وعوض البحــراوى فاطلعانى على صورة ما جهــزوه لمؤتمر الاشـــتراكيين فوافقت عليه بعد ان ادخلت عليه بعض التعديلات وبعد ترجمة هذا التقرير الى الفرنسية ـ وكان فى الاصـــل بالانجليزية والالمانية والطليانية ـ وطبعت منه عدة نسخ بهذه اللغات الاربع ووزعت على الاعضاء .. ومن غريب اعمال جاويش وجماعته انهم طبعــوا عليهـــا جميعـــا « وكيل الحزب الوطنى » ليمضيها الشيخ جاويش مع وجودى معهم فشـــطبت لفظ « وكيل » واستبدلتها بلفظ « رئيس » ووقعت عليهـــا بامضائى وبالطبع لم يجرؤ أحد منهم على انتقاد عملى هذا لانه قانونى .. ولكنهم امتعضوا وتضايقوا وظهر ذلك على وجه جاويش بصفة خاصة » .

وعن مؤتمر برست ليتوفسك الذى اجتمـــع لتقرير الصلح بين روسيا والمانيا وحلفائها كتب محمد فريد فى مذكراته ما يلى :

« كان أول اعمال اللجنــــــــــة ارســـــــال تلغراف الى المؤتمر وقد ارسل فعلا ونشر فى جميع الجرائد ، وكنا قد قررنا ارسال صورة التلغراف الى الجرائد ليعلم به باقى الاعضاء كما قمنا بتحرير تقرير مطول يرســـل لجميع أعضاء المؤتمر وللجرائد أيضا نثبت فيه انمسألتنا ليست عثمانية بل هى دولية واننا نطلب الاعتراف بحق الامة المصرية بأن تقرر بالتصويت العام رغبتها فىالكيفية التى تريد ان تحكم نفسها بها والاعتراف كذلك بحيدة ترعة السويس تبعا لمبدأ الجنسيات ولمبدأ حرية البحار »

تلك قصـــة محمـــد فريد مع مؤتمرات السلام ومع

مؤتمرات الاشتراكيين . اما بقية القصة ، علاقة لينين بمحمد فريد ، فانها قصة طويلة كان بطلها شاب روسى اسمه تيودور روذستين هرب من روسيا فى أثناء الحكم القيصرى وهاجر الى انجلترا والتقى بالاحرار من المفكرين الانجليز والايرلنديين الاحرار واتصل بالمستر ويلفريدبلنت الكاتب الايرلندى الحر الذى وقف الى جانب شعب مصر ، من أيام ثورة عام ١٨٨٢ بقيادة

احمد عرابى ، ولما ذهب مصطفى كامل ومحمد فريد الى اوربا لاختيار محررى صحيفتى « ليتندار اجبسيان » و « ذى اجبسيان استاندرد » رشح بلنت للزعيمين المصريين تيودور روذستين ـ وكان قد بدأ يهتم بالقضية

المصرية وقد أصدر روذستين كتابا أسماه «خراب مصر» ومصر قبل الاحتلال البريطانى وبعده حمل فيه على الاحتلال البريطانى حملات عنيفة ـ واشترك روذستين فى تحرير الصحيفتين المصريتين فلما أغلقتا بسبب ضيق يد الحزب الوطنى ، عاد الى انجلترا

واشترك مع بلنت فى اصدار مجلة «مصر» ، تلك المجلة التى أصدر كتشنر تعليمات صارمة بالا تدخل مصر ، لعنفها بعد أن ضايقت الحكومة البريطانية وقد انتقل روذستين الى أوربا وعاش هناك متنقلا بين باريس وجنيف وبرن ، فلما قامت الثورة الاشتراكية فى روسيا

عاد روذستين واصبح سكرتيرا خاصا للينين ، وظل فى هذا المنصب فترة غير قصيرة الى ان عين وزيرا مفوضا للاتحاد السوفييتى فى طهران ثم طلب هندرسون وزير خارجية بريطانيا سحبه من هناك لانه كان يقوم بنشاط معاد لبريطانيا فى ايران والهند ..

ويحتمل أن يكون لقاء محمدفريد ولينين قد تم ، فى جنيف

خاصة وان الجميع ـ جميع المنفيين السياسيين الذين كانوا يقطنون جنيف ـ كانوا يقيمون فى شارع البوندراف الذى كان يقيم به محمد فريد ولينين ، وغيرهما

أما ما جاء فى مذكرات محمد فريد خاصا بلينين فهى العبارة التالية فى صفحة ٢٦٧ :

« اخيرا وصل الى علمنا ان المسيو لينين رئيس الحكومة الروسية أرسل تلغرافا لاسلكيا الى شعوب العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند ، وصلنا هذا الخبر من الامير شكيب ارسلان على لسان وزير الخارجية نفسه وان هذا التلغراف نشر فى جرائد البلاد المحايدة ، لكنه لم ينشر هنا ـ برست ليتوفسك ـ عند ذلك قررنا شكر لينين على هذه العناية تلغرافيا ، وفعلا ارسل التلغراف عن طريق استوكهلم وارسلت صورته للجرائد هنا ـ برلين ـ لكن لم ينشر ولا فى جريدة واحدة منهما، والظاهر ان الحكومة منعت نشره لاسباب لم نعلمها »

خاتمة

فى رايى ان انتقال محمد فريد من مصر الى اوربا عام ١٩١٢ بعد موجة الاضطهادات القاسية التى تعرض لها ومن بينها الالقاء به فى غياهب السجن ستة أشهر كاملة يعتبر نهاية لمرحلة هامة من مراحل كفاحه الوطنى وبداية لمرحلة جديدة وقد كان ايمانى بهذا الراى هو الذى جعلنى فى مجال دراستى لمحمد فريد اقصر هذا البحث على كفاحه داخل مصر ، على أن اتبعه ببحث آخر يتضمن كفاح محمد فريد خارج مصر .. ولهذا السبب لم أحاول الكلام عن الفترة التى قضاها محمد فريد فى المنفى الا ما يقتضيه سياق الحديث واعطاء صورة كاملة لموضوع معين والفكرة التى تسيطر على — وان عارضها الكثيرون — تتلخص فى اقتناعى بأن مصر فى مطلع عام ١٩١٢ كانت قد وصلت الى نقطة تحول خطيرة يوشك بعدها الكفاح الوطنى ان يتحول الى ثورة ، لولا خروج محمد فريد فى مطلع هذا العام وتوالى احداث هامة وخطيرة نتجت عن هذا الخروج وقد كنت اؤمن وما ازال حتى هذه اللحظة — وبالرغم من معارضة الكثيرين أيضا — ان خروج محمد فريد من مصر واتخاذه اوربا منفى اختياريا له فى بداية الامر ورغم ما قدمه محمد فريد فى الخارج من تضحيات ،

مسألة فيها نظر وقد اشرت الى هذا الرأى فى كتـــابى « الجلاء طريق السلام والاستقرار والحرية » الذى صدر عام ١٩٥٤ حيث قلت فى صفحة ٣٨ ما يلى :

« ويقضى محمد فريد نصف عام فى السجن ويخـــرج ليجد قضـية أخرى فى انتظاره ، غير انه يترك مصر — وكنا نود الا يفعل ذلك — ليكمل جهاده فى أوربا وليصبح فى أوربا قديس الامة المصرية • »

وقد عارضنى فى وجهة نظرى هــذه الاستاذان عبد الرحمن الرافعى ومحمد زكى عبد القادر اللذان قالا أن هذا الرأى فيه بعض القسوة . وأنا اؤمن بأن مكان الزعيم القائد دائما وأبدا فى قلب المعركة ، ليس له مهما كانت قسوة الاضطهاد الذى يتعرض له — حتى ولو وصل الامر الى الاعدام — ان ينتقل الى ميدان آخر ذلك لان كل حركة وطنية تكتسب من قائدها ومن جنودها المخلصين لها — باستمرار — قوة متجددة ، وبقاء القائد — وبقاء الجنود المخلصـــين — فى قلب المعركة والتعرض للاضطهاد يزيد المعركة اشتعالا ويقرب من أمد النصر ،

وقد كانت الوثائق التى حصلت عليها تؤكد بالنسبة لى هذا الرأى • . لقد كانت المعركة قبل أن يغادر محمد فريد — وللحق نقول انه لم يكن يتوقع لغيبتـــه ان تطول — قد أصبحت واضحة الأهداف والمعالم وكان غياب محمد فريد عن قيادة المعركة فى هذا الوقت الحاسم سببا فى اضعاف هذه الحركة وفى اصابة بعض جوانبها بالشلل ففى الاشهر التالية لخروج محمد فريد من مصر بدأ الشقاق يدب بين أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى ووجد بعض ضعاف العزيمة فى خروج محمـــد فريد موجبا لتحللهم من التزاماتهم قبـــل الحركة الوطنيـــة

ووجد فريق من الذين يؤمنون بانصاف الحلول فى خروج محمد فريد فرصة للوقوف بجهدهم عند هذا الحد .. الامر الذى مكن للخديو عباس حلمى الثانى من استمالة بعض هؤلاء الضعاف وانصار انصاف الحلول ، هذا بالاضافة الى أن قيادة الحركات الوطنية

لا يمكن ان تنجح بالاعتماد على الرسائل أو ايفاد الوفود لنقل وجهات النظر ، وأذكر ان بعض قادة الحركة الوطنية قد اختلفوا مرة فى أمر من الامور ، واحتكموا الى محمد فريد ، وكان رأى ــ محمد فريد ــ الذى لم تكن الصورة على الطبيعة واضحة أمامه كما جاء فى خطاب له :

« اننى أؤيد الجانب الذى يقف به امين الرافعى نظرا لما أعرفه عنه من صلابة وبعد نظر »

واعتقادى الخاص انه لو بقى محمد فريد داخل مصر لقامت الثورة المصرية عام ١٩١٢ أو عام ١٩١٣ كما اننى أومن بأنه لو بقى محمد فريد فى مصر ولم يقدر لثورة عام ١٩١٩ ان تنطلق الا فى موعدها الذى انطلقت فيه وهى مارس سنة ١٩١٩ لما كان هناك أدنى شك فى ان قائد هذه الثورة سيكون بالقطع محمد فريد ، ولو ان الامر كان كذلك لتغير وجه التاريخ فيما يتعلق بهذه الثورة وبنتائجها !

وليس معنى ذلك ابدا القول بأن الحركة الوطنية قد ماتت أو انتهت عقب خروج محمد فريد من مصر ، ولكن معنى ذلك فى رأيى أن خروج محمد فريد من مصر قد أبرز التناقضات داخل الحركة الوطنية وهذه بعض الأمثلة :

ــ توقف انشاء النقابات العمالية والاندية والروابط عقب خروج محمد فريد ولم تندفع حركة تنظيم العمال

والفلاحين فى الاتجاه مثل اندفاعها قبل خروج محمد فريد من مصر . واستقطاب الخديو لعدد من أعضاء اللجنة الادارية عقب خروج محمد فريد من مصر ، ومن بين هؤلاء الاعضاء محمود فهمى سكرتير الحزب الوطنى وعلى المنزلاوى احد اعضاء اللجنة وغيرهما .

● فى رسالة بعث بها عبد الملك حمزة الى محمد فريد بتاريخ أول يونية عام ١٩١٢ ـ أى بعد خروج محمد فريد بقليل ـ ما يؤكد هذا المعنى . قال عبد الملك حمزة :

« أما مدارس الشعب فقد أعطينا العباسية وبقية المدارس عدا مدرسة بولاق اجازة لثلاثة أشهر وذلك لان عجز هذه المدارس كبير وقد نفدت النقدية وقد جمعنا ثلاثة جنيهات أخرى عن طريق التبرع نفدت أيضا .. ونظرا الى ان الوقت صيف لا ينتظر ربحا من ليلة تمثيلية ، لذلك فكرنا ايقافها مؤقتا فأعطيناهم هذه الاجازة . أما مدرسة بولاق فرأيت ابقاءها ودفعت لها

عجز الشهر الماضى من عندى لانه بسيط وهو ١٥٠ قرشا ولان المتعهدين قالوا ان العجز فى الاشهر المقبلة لا يمكن ان يزيد عن ٥٠ قرشا فرأيت ابقاءها ودفع هذا العجز من طرفى حتى نقيم ليلة فى اكتوبر وعند ذلك نعيد فتح جميع المدارس »

وفى مثل هذا المعنى كتب دكتور اسماعيل صدقى ـ وهو غير اسماعيل صدقى باشا ـ الى محمد فريد يقول :

« انى لا أرى فى جمعية السلام الا ما ترونه ولذلك فان الاسف يخالجنى باشد تأثير كلما رأيت الضعف قد تغلب على تلك الهمم التى كانت عمادنا فى القيام بمهمتنا

وتنفيذ مبادئنا على اختلاف اشكالها .. رأيتم اجتماع مجلس ادارة الجمعيــة وغير ذلك وقد جاهــدت فى الحصول عليه فكانت النتيجة مضاعفة الاسف عندى اذ لا يوجد من الاعضاء من يوافقنا فى الظروف الحاضرة ولا اخفى عنكم اننى حاولت تكوين الجمعية طبق القانون من سبعة أعضاء فلم أوفق . وليس التهاون والتقصير فقط فى جمعية قد نسى اعضاؤها او تناسوا مأموريتهم ، شأنهم شأن اعضــــاء اللجنــــة الادارية ـ أغلبهم ان لم اقل جلهم ـ حتى أصبحت وللاســف حالة النــادى نفســه فى حاجة قصــوى للتــدبر .. فقــد انقطع عن الحضور فيه حتى الاعضاء الذين كانوا متعودين ذلك وفقدت بالــكلية وسائل ايفاء حاجته حتى الوقتية منها مثل قيمة الاضاءة ..

وقد وصل بنا الاهمال الى عدم تلبيــة دعوة اللجنة الادارية للنظر فى حالتنا الحاضرة وحالتنا المالية خاصة التى تحتاج للاسعاف السريع مثل الاحوال المرضيــة المفاجئة »

وينتهى اسماعيل صدقى فى خطابه بقوله :

ـ سأتفق مع وفيق على ارســال مبلغ المائة فرنك وكتاب باسمكم من جمعية السلام حتى يتسنى لنا الاشتراك فى مؤتمر هذا العام . وهذه هى الطريقة العملية الوحيدة ادعو الله ان يوفقنا جميعاً لما فيه خلاص بلادنا ، وتقويم اخلاقنا وان يبعد عنا مناوأة بعضنا بعضا .

وفى ٢ اغسطس عام ١٩١٢ ، بعد سفر محمد فريد الى اوربا بشهور ، نشر محمد فريد مقالا فى جـــريدة « لى سييكل » الفرنســـية ضد الخـديو واتفاقه مع بريطـــانيا على اعترافه بالحمـــاية البريطـــانية ،

وفى ٥ و ١٠ سبتمبر كتب محمد فريد مقـــالين شرح فيهما ما اجمله فى المقال الاول ـ وبعد ظهور هـــذه المقالات ـ كما اكد احمد شفيق فى « مذكراتى فى نصف قرن ـ أخذ بعض أعضاء الحزب الوطنى بفضل مســاعى الخديو وتأثيره يطلبون عزل محمد فريد بك من رياسة الحزب الوطنى وطلبوا انعقاد اللجنة الادارية للحـــزب لمحاكمته فعارض فى هذا على فهمى كامل »

وقد انخدعت غالبية اعضاء اللجنة الادارية للحزب ووقع كثير من اعضائها فى شباك المؤامرة ، وقد أرسل على فهمى كامل وكيل الحزب الوطنى بتاريخ ٣ سبتمبر عام ١٩١٢ خطابا الى محمد فريد قال فيه :

ـ عزتلو حضرة محمد بك فريد .. السلام عليكم وبعد .. فقد كلفتنى اللجنة المنتدبة من قبل اللجنـة الادارية للحزب للنظر فى المســائل المستعجلة ان أبعث اليكم هذا الخطاب المتضمن قراراتها الصــادرة فى ١٣ سبتمبر الجارى فى البيان الاتى :

ـ نشرت جريدتى « الســـبيكل » و « الاكسيون » اللتان تصدران فى باريس ثلاث مقالات بامضائكم ... احداها عن المؤامرات الجنـــائية ، والاخريان اتهمتم فيها الخديو بانه اتفق مع انجلترا سرا على حمــايتها مصر وفصلها عن الدولة العلية فى مقابل تسميته خليفة المسلمين وقد ظهر استيــاء الرأى العــام المصرى عامة والحزب الوطنى خاصة على اثر نشر كل مقال من هذه المقالات فى اكبر مظاهرة .. الامر الذى عنيت به اللجنة الادارية فاجتمعت فى يومى ٣٠ اغسطس و ٨ سبتمبر الجارى للنظر فى هذه المسألة الهامة بين مســائل أخرى وقررت تأليف لجنة من بين أعضائها لوضع حد لهذه

الامور واصدار قراراتها باسم اللجنة الادارية وقد اجتمعت هذه اللجنة المنتدبة اليوم لاول مرة وقررت بعد المناقشة سؤالكم فيما يأتى :

اولا ـ هل حقيقة هذه المقالات بقلمكم ؟

ثانيا ـ اذا كانت هذه المقالات بقلمكم ، فاللجنة تسألكم ان تدافعوا عن نفسكم ، كما يقضى بذلك قانون الحزب الاساسى ..

ثالثا ـ قد حددت لكم اللجنة ثلاثة اسابيع من هذا التاريخ بحيث اذا لم يصلها الرد على هذا لغاية يوم الخميس الثالث من شهر اكتوبر المقبل فانها تعتبر ذلك امتناعا منكم عن الاجابة ..

ويقول احمد شفيق :

« عقدت اللجنة الادارية للحزب اجتماعا وقررت استنكار مقالات محمد فريد ، ولكن لم ينشر القرار فى الصحف فاستقال بعض الاعضاء ومنهم على المنزلاوى ومحمود فهمى سكرتير الحزب »

وفى ٢٠ سبتمبر نشرت « الاهرام » برقية أرسلها محمد بك فريد الى على فهمى وكيل الحزب باستقالته لاضطراره البقاء خارج القطر وطلب ان تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب دون غيرها وذلك لما بلغه من مساعى الخديو مع أعضاء اللجنة الادارية ..

وبالطبع لم يجرؤ على فهمى كامل ولا اللجنة الادارية على دعوة الجمعية العمومية للحزب للاجتماع لبحث استقالة محمد فريد لان الجميع يعلمون حق العلم ان الجمعية العمومية لا يمكن ان تقبل استقالة محمد فريد وهى التى اختارته منذ فترة قصيرة رئيسا للحزب ..

● كان الحــزب الوطني يعين مجلة « ايجبت » التى تصدر بلندن ـ لصالح القضية المصرية ـ بمائتى جنيه كل عام وقد تأخر ارسال هــذه المعونة الى المجــلة فى اعقاب خروج محمد فريد من مصر حتى اضطر محمد فريد ان يكتب فى عام ١٩١٢ الى عبد الرحمن الرافعى

أن يتحدث مع الاخوان من أجل مساعدة هذه المجــلة بالمال ـ ولو على قسطين ـ لانه لا يصعب على الامة التى تجود بمئات الالاف من الجنيهات أن تبخل بمائتى جنيه فقط مثل هذا العمل المفيد .. واضاف محمد فريد الى ذلك قوله :

« انى اشتغل الان فى وضع رسالة صغيرة بالفرنسية اشرح فيها الاسباب التى أوصلت الدولة العلية لهــذه النقطة الخطرة وهذا المركز الحرج وربما ظهرت الرسالة فى يناير القادم » ..

وكتب محمد فريد ـ من الاستانة فى ٢٥ مارس عام ١٩١٣ ـ الى عبد الرحمن الرافعى يقول :

« ساءنى ماجاء بخطابكم المذكور من العبارات التى تعبر عن اليأس فى مســتقبل الامة بسبب ما ظهر من بعض ابنائها من الخور والضعف ..

فمــا يمنعهــم من صرف همتهــم الى المشروعــات الاقتصادية كالنقابات وشركات التعاون المنزلى والمــالى وقد برهن ما اسس منها عن نجاح عظيم وعلى استعداد الامة للاقبال على مثل هذه المشروعات هــذا ميــدان واسع للجميع فادخلوا فيه بهمة ونشاط فاسـتقلال مصر الاقتصادى مقدمة لاستقلالها السياسى »

ونحاول هنا القــــاء بعض الاضــــــواء على آراء محمد فريد واتجاهاته وأهــــدافه ونخلص من ذلك كله

الى توضيح جوانب العظمة فى هذه الشخصية الفذة التى يجب أن يقتدى بها أبناء الامة العربية

● عندما القيت أعباء قيادة الحركة الوطنيــة المصرية على كتفى محمد فريد بادر أولا وقبل كل شىء بتحديد اهداف هذه الحركة بوضوح كامل بحيث لم يكن ثمة مجال لاى خلاف أو اختلاف فيما يتعلق بهذه الاهداف وكان اول هذه الاهداف جلاء القوات البريطانيــة عن ارض مصر .. فمصر لن تستطيع ابدا القيام بأى جهد اصلاحى طالما بقيت القوات البريطانية فى أرض مصر ، ثم ان العدو الاول الذى يجب محاربته بكل قوة وبدون

تردد او تراخ ، هو العدو المحتل ومن يقف الى جواره أو خلفه من الحكام او المستوزرين أو عباد السلطة أو الوظيفة • ولم يقبــــل محمد فريد ـ تحت أى ظرف من الظروف ـ المناقشة فى موضوع الجلاء ولم يقبل أن يضع يده ـ مهما كانت الظروف أيضـــا ـ فى يد من لم يقل بالجلاء ولم يعمل من أجل الجــلاء • ولم يكن رأى محمد فريد فى ان الجلاء هو اهم المطالب المصرية منذ ان قاد الحركة الوطنية ، بل كان هذا رأيه ايضا فى أيام مصطفى كامل

● كتب محمد فريد فى ٢١ اكتوبر عام ١٩٠٦ ـ فى جريدة « اللواء » يقول :

« بما أن مركز انجلترا فى مصر غير شرعى اتخذته بالسياسة وعضدته بالقوة فلا يجوز لمصرى أن يعترف به بل تجب المطالبة بالجلاء بكل شفة ولسان وفى كل وقت وآن »

وفى صبيحة انتخاب محمــد فريد رئيســا للحزب الوطنى أرسل الى سير ادوارد جراى وزير خارجيــة

انجلترا برقية احتجاج ـ باسم الجمعية العمومية للحزب ـ على احتلال انجلترا للقطر المصرى بلا وجه حق واعلان العزم على السير فى خطة مصطفى كامل حتى تفى انجلترا بوعودها ..

سأل المستر كامبل العضو بمجلس العموم البريطانى محمد فريد :

ـ ماذا يطلب الحزب الوطنى من انجلترا ؟

وقال محمد فريد على الفور :

ـ نحن لا نطلب من انجلترا شيئا سوى الجلاء .. فالجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال ..

ويقول محمد فريد فى خطبة له بالاسكندرية فى ١٥ اغسطس عام ١٩٠٨ :

« اعلن هنا اننا براء من كل شخص أو جماعة يقولون بغير الجلاء أو يرضون بالاحتلال او يسكتون عنه مرضاة لجماعة من مجلس النواب الانجليزى يغررون بنا ويوهموننا بالمساعدة على نيل الاصلاح ان نحن قبلنا الاحتلال أو سكتنا عنه »

وعلق محمد فريد على اقتراح المستر روبرتسون ـ العضو بمجلس العموم ـ والمستر بريلسفورد مدير جريدة « الديلى نيوز » والخاص بأن تتنازل مصر عن طلب الجلاء لكى تظفر بمساعدة رجال السياسة فى انجلترا فقال :

« أن هؤلاء الساسة وضعوا لمساعدتهم شرطا لايمكن ان نقبله مطلقا .. اشترطوا لتحقيق رغباتنا ان نمحو من بينها مسألة الجلاء فنحن ان رضينا بشرطهم فانما نعترف بهذا العمل العدوانى وهو الاحتلال وهذا محال »

ولم تكن مطالبة محمد فريد بالجلاء فقط مجرد شعار

يرفعه بل كان عملا دائبا .. فكم حرك الشعب ليقوم بالمظاهرات من أجل الجلاء .. وكم لامه اصدقاؤه لانه كان يحرك الشعب بكل قوة للمطالبة بالجلاء ..

كتب احمد لطفي السيد من بلدته برقين في ١٣ ديسمبر عام ١٩٠٨ خطابا الى محمد فريد قال فيه :

ـ حضرة صديقي الفاضل .. جاءنى اليوم من الاسكندرية من أحد كبار الاعيان انه علم من اسماعيل اباظة باشا ان الحزب الوطنى سيقوم غدا بمظاهرة تمر أمام دور القنصليات الاجنبية تنادى فيها بالجلاء .. ويعلم أخي ان مظاهرة من هذا النوع لم يأت الى الان وقتها وان من شأنها ان تقف أمام الامة فى طلب الدستور فاذا كان ولا بد من مظاهرة فلماذا لا تكون كالعادة فى كل عام ما دام السبب فى طلب الجلاء عندك هو ما قد علمته وبانك احرص من ان تدع الحزب الوطنى موضعا لتنديد العقلاء ..

وتفضل بقبول تحيتي وعظيم احترامى ..

اخوكم : احمد لطفي السيد

وفى الذكرى الاولى لوفاة مصطفى كامل فى ـ فبراير عام ١٩٠٩ ـ قال محمد فريد :

ـ ان مصر لم تزل تئن من سلطة الفرد وتسمى لنيل الدستور وتشتكى من احتلال الاجنبى .. ان الحفلات التى تقام غدا فى أغلب المراكز والقرى لاكبر دليل على نمو الشعور الوطنى فى البلاد واكبر مشجع لنا على السير فى هذا الطريق القويم .. طريق خدمة الوطن والسعى المتواصل لنيل الدستور والحصول على الجلاء ..

ولخص محمد فريد فى حديث له مع صحيفة

« لونوفيل » الباريسية فى ـ ٢٧ مايو عام ١٩١٠ ـ ما يريده المصريون فى عبارة واحدة اذ قال :

« نريد جلاء الانجليز .. »

وعندما ذهب محمد فريد الى لنــدن فى يونية عام ١٩١١ للاشتراك فى مؤتمر الامم المهضومة الحقوق قال فى كلمة له :

« نحن لانقبل أبدا الاعتراف بالاحتــلال البريطانى فاننا نعتبره غير شرعى كما نعتبره مؤسسا على القوة الغشوم التى لايجوز أن تكون مطلقا أساسا لحق من الحقوق »

ووجه محمد فريد كلامه الى الحاضرين قائلا :

« اتيت الى هنــا باســم الحــزب الوطنى لاذكركم بالوعود والعهود التى صرحتم فيهــا بالجلاء عن مصر وردها الى أهلها كما جئت لاثبت لــكم ان شرف انجلترا يقضى عليها بالوفاء بهذه الوعود »

والمطلب الثانى الذى حدده محمد فريد كهدف للحركة الوطنية ـ بعد الجلاء ـ هو الدستور .. وقد اعتمد محمد فريد فى المطالبةبالدستور على كل الوسائلالشعبية بما فيها المظاهراتوالاحتجاجات وتوقيعالعرائض .. وقد وقع على العريضة الاولى أكثر من ٤٥٫٠٠٠ شخص ، وعلى الثانية أكثر من ١٦٫٠٠٠ شخص وغيرها وغيرها وعندما رفعت هذه العرائض الى الخديو حاول الانجليز احباط هذه الحركة اذ سال احد اعضاء مجلس العموم السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا عما اذا كان للخديو أن يضع دستورا ومجلسا نيابيا ، فأجابه بأنه لا يمكن ذلك الا بعد استشارة الحكومة البريطانية ..

وعنــدما صرح ســير الدون غورســت ـ المعتمــد

البريطانى ـ فى حديث له مع جـــريدة « المقطم » فى ٧ اكتوبر عام ١٩٠٨ ـ بان الشروط اللازمة لادارة البلاد بموجب نظام دستورى غير متوفرة الان والتفكير فى ادخال تغيير يحدث انقلابا والانقلاب ضرب من الحماقة احتج محمد فريد على سير الدون غورست قائلا :

« ان مثل هذه التصريحات لا تميت الشــعور ، بل تزيده قوة على قوة » . ونادى محمد فريد أعضـــاء مجلس شورى القوانين أن يقرروا فى أول اجتماع لهم طلب الدستور والا يجتمعوا مرة أخرى الا اذا حصلوا عليه

وفى ١٧ ابريل عام ١٩٠٨ خطب محمد فريد فى دار التمثيل العربى قائلا :

ـ لو كنا يدا واحدة وقلبا واحدا ونفسا واحدة فى اجسام واحدة .. ولو نبذنا التفرق والانقســام الى احزاب متعددة لا فارق فى الحقيقة بين مبادئنا لنلنـا كل ما نطلبه من دستور ومجلس نيابى ومراقبة فعلية على مصروفات الحكومة ولحصلنا على جلاء الانجليز من بلادنا العزيزة ..

وفى مؤتمر بروكسل ـ سبتمبر عام ١٩١٠ ـ قال محمد فريد :

ـ ان برنامج الحركة الوطنيـة يجتمع فى كلمتين : الجلاء ، والدستور .. وأن تترك مصر لنفسها لتكون أمة على الحياد تحترم كل الدول حيادها

وفى الجمعية السنوية للحزب الوطنى التى انعقدت بتاريخ ٢٢ مارس عام ١٩١٢ ـ آخر اجتمـاع حضره محمد فريد فى مصر ـ قال فيه :

« تشارك الجمعية العمومية فى الطلبات الخاصـــة بالدستور مقدما باسم أعضائه وأنصاره ، والخمســة

والستين الف مصرى ومصرية الموقعين على عرائض طلب الدستور ، والامل وطيد فى أن الجمعية العمومية ستبرهن على استقلالها وعلى ادراك اعضائها وظيفتهم الجديدة »

وفى الاجتماعات التى عقدها محمد فريد بجمعيات الشباب المصرى فى الخارج ومن بينها اجتماع ٢١ فبراير عام ١٩١٣ ، قال محمد فريد :

« نحن لانطلب من انجلترا دستورا ولا اصلاحا ولا نطلب ذلك الا من الخديو المسئول أمام الامة ، اما انجلترا فلا نطلب منها الا الجلاء » .. وقد راى محمد فريد ان الخديو قد انضم الى الانجليز .. فلا يمكن ان يرجى من ورائه خير .. اى خير . ولهذا فقد بادر بمعارضته كما بادر بكشفه امام الراى العام فى مصر منذ ان آلت اليه قيادة الحركة الوطنية .

يقول أحمد شفيق :

فى يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٠٨ وردت رسالة للخديو بإمضاء احد رجال جمعية الانتقام المصرى ، جاء فيها :

« يا ايهاالامير ان المفرقعات الجهنمية التى تنسف الارض قد أعدت لتنسفك بعربتك وخيولها ومن يكون معك فيها أثناء مرورك رغم أنف جواسيسك وحرسك فاعزل بطرس رئيس المحكمة الخصوصية واحذر حيث لايغنىالحذر .. والمدة خمسة عشر يوما من تاريخه »

ويقول احمد شفيق باشا فى مذكراته :

« كان راى الخديو ان محرر هذا الخطاب هو احد رجال الحزب الوطنى من أتباع محمد فريد »

وفى ١٢ مارس عام ١٩٠٩ حضر الى السراى على بك ابو الفتوح الذى عين مديرا لجرجا ليشكر الخديو على

هذا التعيين وكان قد بلغ سـموه ان الحزب الوطنى يسعى لضم الموظفين الى جانبه وخاصة رجال الإدارة ليكونوا عضدا له وسندا وان على بك ضمن المنتمين لهذا الحزب ، ولما قابل سموه قال له :

ـ يا على بك انا وطنى واحب وطنى وكل المصريين يحبون وطنهم ولـكننى لا أود أن اكون عضوا فى الحزب واظن ان الافضل الا تكون انت ايضا كذلك .. فتبرأ المدير مما نسب آليه

وتحت عنوان « اشـتداد روح المعارضـة » كتب احمد شفيق باشا يقول :

ـ كان مقتل المرحوم بطرس غالى باشا فى العام الماضى مظهرا من مظاهر التطرف والتهور فى المعارضة التى لم يجد فى اسكاتها بمث قانون المطبـوعات القـديم الذى أبطل العمل به أيام اللورد كرومر . فاشتدت الحملات الصحفية على الحكومة ولا سـيما فى صحف الحزب الوطنى وكذلك صـدر كتاب « وطنيتى » للشيخ على الغاياتى حاويا الـكثير من الحض على الثورة وتمجيد اعمال المجرمين السياسيين .

ولما كان محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى قد كتب مقدمة لهذا الديوان فقـد قـدم للمحاكمة بتهمة تحسـين جـريمتى الوردانى ودنجرا الهنـدى اللذين اطراهما صاحب الديوان فى بعض مقطوعاته .

ولـكن هذا الحكم لم يزد اعمال التهييج الا شـدة ولما قضى فريد بك مدة الحبس وخرج ، أقام له اعضاء الحزب الوطنى حفلة تكريم بفندق الـكونتننتال بالرغم من ان هذا التكريم نفسه يحرمه القانون لانه استحسـان لجريمة ..

وبعد حادثة مقتل بطرس غالى تندفع الحركة الوطنية الى الامام بكل قوتها كما تندفع سلطات الاحتلال فى محاربتها بكل قوة أيضا .. يشتد الخلاف بين محمد فريد والخديو ويتهم الخديو الحزب الوطنى بأنه متسرع فى طلب الدستور والجلاء .. ويرد محمد فريد عليه بكل قوة وعنف فتصدر الحكومة قانونا باحالة تهم الصحافة الى محاكم الجنايات بعد أن كانت من اختصاص محاكم الجنح .

ويرد محمد فريد فى جريدة « الطان » الفرنسية تحت عنوان « سياسة الشدة » قائلا :

« نحن نقول بصراحة كما قال المرحوم مصطفى كامل باشا عقب حديث المستر ديسى ان الامة غير مرتبطة بما يقوله الامير بخصوص التشريعات الرجعية وتحالف الخديو والوزارة من ناحية والاحتلال من ناحية اخرى على الحركة الوطنية ــ فى مثل هذا الموضوع الخطير ــ وان بطانة سموه ووزرائه يسيئان اليه اكبر اساءة فى عدم الاشارة عليه بتصحيحه اذ ان مثل هذا التصريح لايمكن أن يروق فى نظر الشعب »

وفى ١٩ يناير عام ١٩١٢ اقيمت حفلة لرعاية الاطفال بدار الاوبرا تحت رعاية سمو الخديو وحضرها مندوب من قبل سموه وقد حدث عند دخول المندوب وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى أن وقف الجميع حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى مما لفت انظار الحاضرين جميعا ..

ولما كانت هذه هى الحالة الاولى من نوعها تناقلتها الالسن والصحف وكانت لها ضجة فى داخل السراى

وقد خاطب حسين رشدى باشا محمد فريد بك فى

هذا الشأن فأجابه بانه ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف ..

ومن « صرباربغاز » كتب محمد بك فى ١١ يونيــة عام ١٩١٢ الى خديو مصر يقول :

ــ لقد علمت من الاخبار الخاصة الواردة من مصر انكم كلفتم أحد اخوانى ممن يترددون عليكم بأن ينصحنى بالسفر عقب استجوابى بالنيابة واسم هــذا الشخص معروف عندى ولــكنى اكتمه الان فاســتغربت جــدا حدوث هذا الامر بعد ما كتبته لــكم بخصوص العلايلى ومبلغ ٣٠٠ جنيه التى أخذها باسمى وطلبت منكم عمل تحقيق بهذا الخصوص ، ولــكنكم أهملتم الامر ، وبعد ان اخبرتكم انى اترفع عن قبول أى مساعدة منكم ولو كنت فى أخطر درجات الفقر ــ مع انى والحمد لله فى سعة من العيش . فلتكونوا على حذر من ان ما يؤخذ منكم باسمى هو من باب النصب وانى لا اقبــل ولن اقبل أى مساعدة ما دامت مهمتى الجهاد فى سبيل تحرير الوطن من الاستعمار ومن كل من يعاون الاستعمار على توطيد قدمه كائنا من كان ..

والسلام على من اتبع الهدى

المخلص لمصر ــ محمد فريد

ولم يكتف الخديو ، ومن ورائه وأمامه ، الاحتــلال بملاحقة محمد فريد فى المنفى ، فقد تتبع محمد فريد حتى فى مقالاته .. فلم تكد جريدة « العلم » تنشر رأيا لمحمد فريد فى الحرب البلقانية وما أصاب تركيا من هزائم بسبب كامل باشا الصــــــدر الاعظم الموالى للانجليز حتى بادرت حــكومة الخــــديو ــ والانجليز بالطبع ــ فى ٧ نوفمبر عام ١٩١٣ فقررت تعطيل جريدة

« العلم » نهائيا لان الجريدة اعتادت نشر ما يكدر صفو الراحة العامة وانها لسان حال حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التهييج ..

ورغم تلك الحرب العنيفة لم يشأ محمد فريد أن يذيع ما لديه من معلومات عن مؤامرات الخديو ضد اللورد كرومر عندما اختلف واياه بل آثر كتمانها وقال محمد فريد فى رسالة خاصة للخديو عباس حلمى « رغما عن السعى المتواصل ضدى وضد الحزب الوطنى والتأثير على ضعاف العزيمة وأصحاب المطامع لايجاد الفشل فى لجنة حزبنا أو لفصلى من الرياسة فانى لم ازل محافظا على سركم على أى حال حتى الممات » ان محمد فريد لم يكن يحارب الخديو كفرد وانما كان يحاربه كممثل لنوع من الحكم الفاسد الذى يجب القضاء عليه .

وللحقيقة وللتاريخ نقول ان احدا ـ فى مجال السياسة أو الصحافة ـ لم يكن قد تجرأ على الهجوم على الاسرة التى كانت تحكم مصر ، بكل قوة ، وعنف ، كما حدث أثناء قيادة محمد فريد للحركة الوطنية . ونظرة سريعة الى ما كان يكتبه احمد حلمى المحرر الاول بجريدة « اللواء » وصاحب جريدة « القطر المصرى » عن الاسرة المالكة ترينا الى أى مدى كانت الاسرة الحاكمة تهاجم بقسوة وعنف

كتب احمد حلمى مرة مقالا بعنوان « مدام وارنوك » عشيقة الخديو عباس حلمى الثانى قال فيه :

« قد زاد الامر تعقيدا ما آلت اليه حالة مدام وارنوك من اليسر والرخاء فى فترة قريبة من الزمن ، بعد ذلك العسر والشقاء اذ مهما كانت صناعة طب

الاســنان رائجة فانها لا تعود على المحترف بها بمثل هذا اليسر ولقد جعلوا العلاقة بين حادث المنتزه ورواج هذه السيدة انها فى احدى العمارات الخديوية الخاصة وتطبيق كثير من صــفات هــذه السيدة على أمثــال السيدات اللواتى ظهر عليهن الثراء فى عهد اسماعيل »

وجاء فى أحد المقالات التى نشرتها جريدة « القطر المصرى» عن جريدة « العدل » التى تصدر فى الاستانة فى ٨ يناير عام ١٩٠٩ والتى سجن بسببها أحمد حلمى عشرة شهور وتعطلت الجريدة ستة شهور : فاذا عرف المصرى مما تقدم أن شقاءه وبلاءه كان السبب فيها عائلة محمد على يجب عليه وينبغى له أن يتخلص منها .

بأى حق مشروع تأخذ عائلة محمد على من الخزينة المصرية مبلغ ٣٥٠.٠٠٠ ألف ليرة كل عام ، وأى شر دفعوه عن الوطن أم أى خير جلبوه له حتى يكال لهم المال جزافا .. فقد قربوا كل متشرد لا يعرف أحــد مسقط رأسه ولا ملقط جسمــه وعينوهم بالوظــائف واستعانوا بهم على بقاء المصرى فى حالات الجهل وسلبوا الضياع التى دفعها أهل الخير وانفقوها على شهواتهم

ان طائفة من عبــاد الســلطة المطلقة يكذبون على التاريخ ويدعون فى وقاحة ان العائلة المحمدية العلوية خدمت مصر ..

فوالله لو كانت البحــار تنطق والســجون تتكلم لنطق البحر الابيض بما يسود الوجوه ، وتكلم ســجن الطوبخانة الذى مازال باقيا عن الالاف التى خنقت فيه

يا أيها المصرى واصل سواد ليلك ببياض نهــارك فى الخلاص من الظلم .. وابذل أموالك وحياتك فى أن تكون حرا مستقلا يحكمك مصرى .

ومن آراء محمد فريد ، كمـــا كتب فى مقـال له فى ذكرى ١١ يونية عام ١٨٨٢ :

ـ ان من اقدس واجبات الامم التعسة المصابة فى حريتها أن تحيى ذكرى مصائبها لتدب الحماســـــة الى قلوب أبنائها وتشع بالوطنية نفوســـــــهم حتى اذا ما ساعدت الظروف هبت كرجل واحد لاسترداد ما سلب منها بجناية بعض أبنائها

ومن راى محمد فريد ـ كما قال فى مؤتمر بروكسل عام ١٩١٠ :

ـ ان حق الامم فى أن تحكم نفســـها بنفســـها حق طبيعى يستمد وجوده من النظرة الانسانية وان نواب الامة هم وحدهم القادرون على تقدير حاجات مواطنيهم ومطالبهم ووضع القوانين الصالحة لهم الموافقة لعاداتهم وأخلاقهم . أما فى بلادنا حيث لا دستور ولا رقابة على الحكام .. فالمستشارونالانجليز هم الوزراء الحقيقيون الذين يديرون شئون البلاد بمحض ارادتهم .

ويضع محمد فريد الدواء لـكل ما كانت تعانيـه البلاد فى أيامه من كل العلل فيقول :

ـ الدواء الوحيد هو الدستور الذى يسمح لنا بأن ندير أمورنا بما ينطبق ومصالحنا .

ويضع محمد فريد دســتورا للمكافحين الوطنيـين يتمثل فى قوله :

« اننا نعـرف كيف نصبر على المكاره ، ولـكننا لا نعرف التسليم لاعدائنا ولا التنازل عن مطالبنا »

وكتب محمد فريد فى مقدمة كتاب « تاريخ الدولة العلية العثمانية » يقول :

ـ العالم اجيال متعاقبة ، يخلف اللاحق فيها السابق ويرث معارفه صحيحها وفاسدها وأخلاقه حسنها وقبيحها واعماله تامها وناقصها ، ويضيف الى ذلك معلوماته الخاصة وتجاربه الذاتية فيكون بذلك مدنيته العصرية ، فاذا قام الخلف الشاب بالواجب عليه لعصره واتخذ له من تجارب السلف الشيخ مصباحا انفسح أمامه الامل فيرقى فيدرجات المدنية بمقدار ماصرفه من العناء في العمل وما احرزه من معارف السابقين . لذلك وجب ان تكون الاحداث الماضية واعمال السابقين فى العصور الخالية قدوة للمتاخرين في سياستهم وعونا لهم على اعمالهم وانى لهم الاهتداء اذا كانوا لا يعلمون أخبار آبائهم الاولين » ومضى محمد فريد في مقدمة كتابه ، أو خطبة كتابه ، كما كانوا يسمونها وقتئذ يقول :

« مضى على الشرق اجيالا طوال راى فيها أهلوه من أهوال الاحوال ما يشيب له الاطفال وتندك من وقعه عزائم الرجال بل شوامخ الجبال وما كان ذلك الا بعد أن انفرط عقد بنيه وتناثر نظام أهله ، وتشاغل كل بنفسه عن أخيه وذويه فأغار الدهر بخيله ورجله على الشرق ودوله وقلب المجن على الاحن والمحن ، فتناسوا ما كان لهم من فخامة الاقتدار وجلالة الحضارة وضخامة العمران واصالة الامارة وانغمسوا في بحار الكسل والخمول ذاهلين واستكانوا الى المذلة والهوان ، حتىباتوا صاغرين وأوشكوا أنيقضعليهم بالدمار والاندثار ويكونوا عبرة لاولى البصائر والابصار »

وقال محمد فريد :

« لقد دفعتنى دواعى الضمير الى العناية باحداث هذه الدولة والوقوف على أحوالها ، فلما أحطت علما

بما يجب على كل شرقى معرفته من تاريخها حدثتنى نفسى بوجوب تدوين هـذا التاريخ ونشره بين أبنـاء الوطن وأبناء الملة فشمرت عن ساعد الجد وبذلت غاية الجهد ..

ويقول محمد فريد :

« ان حرية الشعوب لا تنتقل ولا تفقد بمضى المـدة ولا تستطيع الدول أن تتصرف فيها بمعاهدات ، كما تتصرف فى السلع .. وانى أقرر ان أية أمة لا تستطيع أن تتصرف فى نفسها ولا فى وطنها تصرفا يضر بحقوقها ولا تستطيع انجلترا أن تتمسك بأية معاهدة أو عقد أو وثيقة سياسية وعلى فرض وجودها فلا يمكن التمسك بها قبلنا »

وكان محمد فريد دائم الوفاء لاصدقائه حتى ولو اختلف معهم فى الرأى الا أن يكون هـذا الخلاف عنيفا وضارا بالصالح العام ..

وكتب محمد فريد فى مذكراته تحت عنوان «وفاة أحمد عبد الرازق » يقول :

ــ قرات فى جرائد مصر خبر وفاة احمـد بك عبد الرازق الذى كان قاضيا بالمحاكم الاهلية وهو من أقدم اصدقائى حيث كنا معا مدة الدراسة بمدرسة الحقوق وظلت صداقتنا على متانتها ولم تؤثر فيها اختلافاتنا فى السياسة فهو كان من الرأى القـائل بالاتفـاق مع الانجليز وبعدم الطعن على الخديو ، وكان يميل الى التقرب من الحكام كل ذلك بحسن نيته مع حبه للوطن

وقد خدمنى فى حادث الوردانى ــ قتل بطرس باشا ــ فانه هو الذى طلب منه الامر بتفتيش منزلى ، ففعل قياما بالواجب ، ولـكن احـدى السـيدات أخبرت

أختى منتهى هانم لقرب منزلها من منزله بالعباسية وقد أتت فى الحال الى منزلى بشبرا وعلمت بما ينوى عليه البوليس ، لكنى كنت أخذت حذرى من قبل واعدمت كل الاوراق التى كان يمكن اتخاذها سبيلا للاضرار ببعض أصدقائنا

وعندما سافر محمد فريد الى لندن القى هناك خطابا جامعا — فى ٢٩ يونية عام ١٩١٠ — قال فيه :

« يسرنى أن اتكلم هنا لانى أشعر بانى حر فى الكلام أكثر من حريتى فى بلادى التى تحكمها عصابة من المستعمرين الانجليز الذين يضرون انجلترا وهم يظنون انهم يحترمونها »

« اننا لايمكننا أن نقر الاحتلال الانجليزى ، بل انا لنعتبره ظلما لا يستند الا الى القوة التى لا تخول حقا . ان أمتكم تستطيع مدفوعة بيد الاستعماريين الماليين أن تعلن حمايتها على مصر وأن تضمها الى أملاكها ولكن لا يمكنها ان تجعل مركزها فى مصر شرعيا ، والحماية والضم ذاته لايسقطان حقوقنا »

وكان محمد فريد يرفض دائما الحكم ، طلب منه محمد سعيد باشا عام ١٩١٠ أن يشترك فى وزارته فقال له :

« كيف تطلب منى ان أشترك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال وانا احارب الاحتلال .. وكيف يتفق النقيضان »

أوفدت لندن اليه رسولا ليعرض عليه احدى الوزارات وقال له الرسول :

« كلفت بحمل هذه الرسالة لعلمى بحرج مركزك المالى ولندن مستعدة لاداء كل ما يلزم لتسوية هذا المركز ،

فرفض محمد فريد العرض قائلا بشدة :

« ان ضياع ثروتى لا يؤثر على مبـــادئى وانى أرفض اى مركز فى الحكومة مادام الانجليز فى مصر »

وعرضت عليه حكومة تركيا ــ وهو فى المنفى ــ بعض المناصب الهامة ومن بينها منصب عميد كلية الحقوق بالاستانة فاعتذر حتى يحتفظ باستقلاله فى جهاده ..

وكان لوالد محمد فريد ألف ومائتـــا فدان ، وكان لمحمد فريد قصر فى شارع شبرا مساحته ٥ أفدنة من أراضى البناء التى ارتفعت قيمتها كثيرا وكان له عمـــارتان بشارع الظاهر و .. و .. وقد انفق محمد فريد كل ذلك على الحركة الوطنية . وقد ذكر لنا بعض معاصريه الذين اشتركوا فى مؤتمر بروكســـل عام ١٩١٠ ، ما فعله محمد فريد عندما منعت الحكومة الفرنسية عقد المؤتمر الوطنى ــ وكانت الدعوة قد وجهت من قبـل لعقد هذا المؤتمر فى باريس ــ وذلك اكراما للحكومة الانجليزية وكيف ســـارع محمـد فريد بنقل المؤتمر الى بروكسل وكيف اســـتأجر ــ من ماله الخاص ــ قطارا خاصا من باريس الى بروكســل يحمـل كل المدعوين الى المؤتمر . ويذكر هؤلاء المعاصرون أيضا ــ كما يذكر هو فى مذكراته ــ كيف كان يتنقل فى أوربا أياما طويلة فى الدرجة الثالثة .. كتب يقول :

ــ سافرت الى استوكهلم ــ فى الدرجة الثالثة ــ وهى أول رحلة لى فى هذه الدرجة بسبب قلة النقـد حيث اقمت هناك ١٢ يوما ، ثم عدت فى الدرجة الثالثة الى انفرس ببلجيكا حيث لى فيها أصدقاء من أعضـــاء مؤتمر السلام . والذين سافروامن مدينة الى مدينة فى أوربا ــ فى فصل الشتاء ــ بالقطار هم وحدهم الذين

يعرفون كيف تكون القسوة فى السفر بالقطار لايام عديدة فى الدرجة الثالثة وكيف انها غير محتملة بالنسبة للشباب فما بالك برجل كمحمدفريد كان يشكو من بضعة أمراض فى وقت واحد ..

وكتب محمد فريد الى عبد اللطيف الصوفانى ، بخصوص تدبير المال اللازم للاستمرار فى نشر المجلة الصغيرة التى كان يصدرها محمد فريد فى أوربا ولكن بلا نظام كتب يقول : « لاستمرار حركة النشر بانتظام يلزم مبلغ لا يقل عن الف فرنك شهريا بخلاف ما يلزم لمصروفى الشخصى وانتم تعلمون أن حالة عائلتى أصبحت لا تسمح بمساعدتى ٠٠ ولا يغيب عنفكركم ارتفاع نفقات المعيشة بأوربا حتى فى سويسرا أصبحت جنيف أشد مما كانت عليه قبل الحرب فى ارتفاع الاسعار ٠٠ ومع ذلك فبالنسبة لاقتصادى المعروف ارى الف جنيه أوثمانمائة جنيه علىالاقل سنويا تكفينى لنفسى ولاعمالى حيث يحسن جمعها وارسالها لى فى موسم القطن ، اى فى بحر هذا الشهر لان حالتى المالية أصبحت سيئة جدا بسبب مرضى وكثرة انتقالى من بلد الى آخر تبعا لاشارة الاطباء

لذلك أكرر طلب ارسال عشرين الف فرنك فورا أو على الاقل نصف هذا المبلغ تلغرافيا بمجرد وصول هذا اليكم لادفع ما على من الديون وهى تزيد على خمسة الاف فرنك الان وتزيد يوميا

وقد كان محمد فريد يعتمد اعتمادا كبيرا فى الحركة الوطنية التى كان يقودها على الراى العام العالمى وخاصة المؤتمرات وكان فى مقدمة هذه المؤتمرات مؤتمر بروكسل .

وكان وفد مصر الى المؤتمر الوطنى الذى اعتذرت الحكومة الفرنسية من عقده مجاملة لبريطانيا قد تم عقده فى بروكسل .. وكان هذا الوفد مكونا من على فهمى كامل وعبد الله طلعت ومحمود فهمى حسين وحسن عمار واحمد حسنى ومصطفى الشوربجى وحسين طنطاوى وعبد الحميد منير والشيخ محمد عبد الغفار عمار وعلى حسين ومحمد أبوالمجد ومحجوب ثابت ومصطفى الشوربجى وامين الرافعى وفؤاد حسيب وأبحر الوفد من مصر فى ١٥ يوليو عام ١٩١٠ ، وقد اقيمت الحفلة الاولى فى فندق اليزا بالاس لاصدقاء مصر من الاوربيين .. وافتتح محمد فريد المؤتمر بين التصفيق الحاد من اعضاء المجالس النيابية والبلجيكية والالمانية والانجليزية والفرنسية .. وقد شرح محمد فريد المسالة المصرية ومركز الاحتلال البريطانى - غير الشرعي - وقد اقام محمد فريد حفلة لاستقبال كيرهاردى رئيس حزب العمال البريطانى وقد اشتركت فى هذا المؤتمر انشراح شوقى التى عبرت عن عواطف السيدات والفتيات المصريات نحو وطنهن واهتمامهن بشئون بلادهن وقيامهن بتربية الابناء تربية وطنية صحيحة ..

وفى الجلسة الرابعة التى كانت برياسة المسترهاوثان عضو فى مجلس نواب المانيا تلى البحث الذى اعده عبد الرحمن الرافعى عن الصحافة فى مصر وتاثيرها فى الحركة الوطنية وقد بعث كرشنانيريا - الزعيم الهندى صاحب جريدة « انديان سوسياليسنت » بخطاب تحدث فيه عن الحركة الوطنية المصرية وقد مجد فى بحثه ابراهيم الوردانى واطراه ولم يكن ذلك غريبا على كرشنانيريا فهو صاحب مبدأ القتل السياسى !

وقد نشرت جريدة « التيمس » نص خطاب كرشنا غير ان محمد فريد صرح بأن المؤتمر لم يقبل القاء الخطاب ، كما لم يقبل ادراجه ضمن موضوعات المؤتمر

وقال محمد فريد :

« ان المؤتمر لايمكنه قبول أى خطاب او تلغراف يتضمن افكارا او آراء تخالف مبادىء الحزب الوطنى » وقد وافق المؤتمر على ما صرح به محمد فريد رئيس الحزب الوطنى وكانت جريدة « التيمس » البريطانية قد استهدفت من نشر خطاب كرشنا قبل القائه استدراج المؤتمر الى تأييد القتل السياسى .. غير ان محمد فريد قد فوت على المحتلين مؤامرتهم . وكانت الجلسة الخامسة برياسة المسيو رواتيه نائب باريس فى البرلمان الفرنسى الذى انتقد حكومة فرنسا لانها منعت انعقاد المؤتمر الوطنى المصرى بباريس واعلن انه يستجوب الحكومة الفرنسية عن اسباب منع المؤتمر

والجدير بالذكر ان كيرهاردى قد أعلن — فى هذا المؤتمر « ان احتلال الانجليز لمصر غير شرعى ، وعلى الامة المصرية الا تثق بوعود انجلترا . فالامة التى تريد ان تستقل يجب ان تعتمد على نفسها وعلى مجهوداتها الذاتية »

وقد تحدث محمد فريد عن برنامج مصر الوطنى ولخصه فى كلمتين : الجلاء ، والدستور .. وقال :

« ان الصالح الدولى للعالم اجمع الا تكون مصر محتلة باية دولة اجنبية وان تترك لنفسها حتى تكون أمة على الحياد تحترم كل الدول حيادها »

وقد تكلمت أيضا فى هذا المؤتمر الزعيمة الهندية

مدام كاما التى عبرت عن دور المراة المصرية فى المعركة ونصحت المصريين بعدم الزواج من الاجنبيـــات وقالت :

« اذا كانت انجلترا تعتقـد ان لها مدنيـة عظيمة تسوغ لها السيطرة على غيرها من الامم فلتعلم ان مصر والهند لهما مدنية أعظم شأنا واكبر اثرا »

وقد قام محمـد فريد بعد انتهاء المؤتمر بجولة فى أوربا داعيا للقضية المصرية .. وعاد الى مصر فى ديسمبر عام ١٩١٠ ، فاستقبـل استقبـالا شعبيـا رائعـا فى الاسكندرية والقاهرة .. وقد شكر محمد فريد الشعب المصرى على احتفاله بعودته الى الوطن قائلا :

« لقد كنت ارجو الا يعنى مصرى بمقابلتى والاحتفاء بعودتى لانى لم أفعل شيئا غير مايجب على كل وطنى »

وقال : « ما انا الا احد خـدام الامة الذين يدينون لبلادهم بحياتهم وليست هـذه الحيـاة الا وقفا على الوطن العزيز .. فاذا وهبته اياها وضحيت فى سبيل اسعاده لا اكون قد قمت الا بالواجب المفروض على كل مصرى منا »

وقال : « انى لن انسى ابد الدهر تلك المظـاهرات الجليلة التى قام بها الشعب المصرى ، وانى لا اعتبـرها موجهة الى شخصى فقط .. وانما هى آية من آيات وطنية الشعب الصادقة الدالة على حياته ورقى شعوره الناطقة بوجوده وجهاده »

وكان محمد فريد يمتاز ببعد نظر سـياسى وبجراة وصرامة ولقة ووضوح رؤية قلما وجدت فى الزعماء الذين كانوا يسيطرون على الامور فى كثير من البـلاد حينذاك .. فقد حارب الانجليز والخديو ولم يعبـأ بما لهما من نفوذ ..

وعندما نشرت جريدة « جون ترك » التى تصدر بالفرنسية ـ فى الاستانة ـ ان محمد فريد كتب من سجنه الى لورد جراى وزير الخارجية البريطانية يشكو اليه من الاضطهاد الذى وقع عليه كتب يقول :

« انى لو حكم على بالموت وكانت حياتى معلقة على كلمة تخرج من فم وزير انجليزى لفضلت الف ميتة على مخاطبة هذا الوزير فى شأنى »

وقال امين الرافعى معقبا على هذا فى مقال له :

« ان محمد فريد بك ليتقدم الى المشنقة رابط الجأش صادق العزم مؤثرا ذلك على الاستعانة بغاصب البلاد »

وكان محمد فريد يقاوم منح الالقاب ، بل ويدعو الى الغائها .. ففى ٢٦ ديسمبر عام ١٩١٠ كتب يقول :

« انه لايليق بالعقلاء السعى وراء الالقاب والاوسمه الذهبية او المرصعة تالله انها زخارف لفظية تعلم الامة ما تحتها من حب للوظائف وحرص على المرتبات »

وهناك جوانب كثيرة متعددة فى شخصية محمد فريد لكى نستطيع ايفاءها حقها يجب ان نكتب عنها مجلدات ومجلدات ، وحسبنا هنا الاستعانة ببعض آراء لها أهميتها البالغة فى هذا البحث ..

قال الاستاذ احمد بهاء الدين :

ـ كان محمد فريد من الذين أدركوا ادراكا علميا عميقا حقيقة المسألة المصرية بعد الاحتلال الانجليزى فعرفوا الطريق ـ أسلم طريق ـ الى تحقيق المستقبل المصرى ، انبعث مصطفى كامل كالشعلة توقظ الوقود وتنير الطريق ثم انطفأ ولم يقف فى هذا الومض طويلا

عند فكرة خصبة ، وجاء محمد فريد ليضع النقط على الحروف التائهة وليرسم للشعب المرتقب وسائله وغاياته . واعلن محمد فريد ان مطالب مصر للتحرر من كل سيطرة أجنبية هي الجلاء ، والدستور .. لا نرضى باحدهما بديلا عن الاخر ولا تلهينا المطالبة بأيهما عن الثانى .. هما سويا معا لغاية واحدة فى طريق واحد .. ثم اتجه الى الزحف السياسى داعيا الوزراء الى مقاطعة الحكم .. وعرفت مصر ـ لاول مرة ـ المظاهرات الشعبية المنظمة التى كان فريد يدعو اليها وتجتمع فى حديقة الجزيرة عشرات الالاف ثم تسير الى قلب القاهرة معلنة عن مطالبها مشتبكة بالبوليس .. مضحية بالعشرات منها ..

ووضع صيغة موحدة للمطالبة بالدستور وطبع منها عشرات الالاف ودعا الشعب الى توقيعها وارسالها الى الخديو كى تكون حركة جماعية تطالب بانشاء مجلس نيابى .. ونجحت الحملة وذهب فريد الى القصر وسلم أول دفعة من التوقيعات التى بلغ عددها ٤٥٠٠ توقيع .. ثم الدفعة الثانية التى بلغ توقيعها ١٦٫٠٠٠ توقيع . وفى الشوارع سارت المظاهرات تنادى بالدستور لاول مرة

ويقول الاستاذ احمد بهاء الدين فى مكان آخر من كتابه « أيام لها تاريخ » :

ـ وهكذا كان يطارد فريد لانه ينادى بالجلاء والدستور وبرسالة نبيلة للفن الجميل ، ويحرم لهذا السبب من الحياة فى وطنه ، بينما يترك وطنه مرتعا للمحتلين »

وتاريخ محمد فريد ـ كما يقول عبد الرحمن

الرافعي ــ ولا غرو ، تاريخ لسنى الجهاد ، من فجر الحركة الوطنية الحديثة .. فقد شارك مصطفى كامل فى بعثها منذ عام ١٨٩٣ وتولى قيادتها بعد وفاته فى فبراير عام ١٩٠٨ الى ان لحق بالرفيق الاعلى فى نوفمبر عام ١٩١٩ ، فكانت هده الاعوام الأخيرة صفحات مجيدة من تاريخنا القومي ولولا ما خطه فيها من تضحيات وآلام وما بعثه فى نفوس الجيل من اخلاص وشجاعة وثبات وايمان ، لما كان لمصر تاريخ وطنى فى ذلك العهد ولانقلب هذا التاريخ سلسلة من خضوع للاحتلال وضعف فى الاخلاق .. فهذه الحقبة من الزمن التى غذاها الفقيد بوطنيته واخلاصه وبذل فيها ما بذل من ماله وقلمه ولسانه ورواها بروحه ومهجة فؤاده هى ولا ريب معين لا ينضب من الفضائل القومية (١) ،

واشار المسيو لاسان وزير البحرية الفرنسية فى جريدة « السييكل » الى حركة الحزب الوطنى واتساع نطاق نشاطه حتى صارت له لجان فى القرى البعيدة عن القاهرة والاسكندرية واصبح جميع الشعب يتأثر به ويعمل برغباته وما كان أحد يظن أن هذه الافكار تجد فى تلك الجهات أرضا خصبة تثمر فيها

وتابع محمد فريد زعامة الحركة الوطنية اثر موت مصطفى كامل وكان قد وجهها الى مزيد من الشعبية تقطع تماما ما بين الحركة الوطنية ورأس الاقطاع فى مصر الخديو . ولم يعد الحزب الوطنى يكتفى بقيادة محمد فريد بالحملة الصحفية من أجل الدستور وانما أخذ يجمع التوقيعات بطلب مجلس نيابى ..

(١) « ايام لها تاريخ » : احمد بهاء الدين

وكان ان جمع اكثر من ٦١ الف توقيع رفعهـــــا الى الخديو عباس حتى لينعكس الامر فى مجلس شـــورى القوانين ـ مجلس الاعيان والدوات ـ وكان لهذا اثره فى الشعب فقد بدأت التحركات الشعبية »

« وادرك محمد فريد قيمة العمل بين صفوف القوتين الرئيسيتين للحركة الوطنية : العمال والفـــلاحين . وقد ربط محمد فريد الحركة الوطنية المصرية بحركة السلام العالمية فدعا فى عام ١٩١١ الى تأسيس جمعية السلام فى وادى النيل تكون لها علاقة رسمية بمكتب السلام الدائم فى أوربا .. وكان محمد فريد أول من قال : ان الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمى ، وان مصلحة السلام العالمى أن تنال مصر اســتقلالها وتنال حكومة ديمقراطية ..

كما ربط محمد فريد قضية استقلال مصر بقضيـــة الاشتراكية الدولية فلم يترك وهو فى منفــاه فى اوربا مؤتمرا دوليا اشتراكيا الا وقدم له مذكرة بمطالب مصر مثل مؤتمر بروكسل عام ١٩١١ ، ومؤتمر برن فى فبراير عام ١٩١٩ ، ومؤتمر لوسرن فى اغسطس عام ١٩١٩ ، وقد استطاع فى مؤتمر بروكسل أن يفوز بالقرار الاتى :

« يظهر المؤتمر تأييده للامة المصرية ويرى ان مبادىء الحق والعدالة وذلك لمصلحة التجارة الدوليـــة تقضى باستقلال مصر وحريتها وان تكون مصر محكومة بحكومة أهلية دستورية .. لقـــد أحس محمد فريد فى وقت مبكر بأن قضيـــة مصر الوطنيـــة هى جزء من قضيـــة الاشتراكية العالمية وكان محمد فريد أول من شـــخص القضية المصرية فى دقة علمية فوصفها فى حديث له بأنها

حركة ديمقراطية دستورية (١)

ويقارن نسيب الاختيار فى كتابه « مصر الثورة » بين الحركة الوطنية أيام مصطفى وأيام فريد فيقول أن طابع الحركة فى أيام مصطفى كان النضال فى المجال الخارجي دون اتخاذ نضال ثورى ضد الاستعمار والبيت المالك السائر فى ركابه فى عهد محمد فريد فقد كانت الحركة الوطنية أوفر قوة فى مقاومة الاستعمار والبيت المالك .. فلم يلجأ محمد فريد فى نضال المجال الخارجي الى الدول المستعمرة بل الى المؤتمرات العالمية المناهضة للاستعمار والتى تجلت فى مؤتمرات السلام التى عقدت فى استكهولم وروما وغيرها من العواصم الغربية حيث استطاع محمد فريد فى هذه المؤتمرات أن يوضح القضية المصرية للرأى العام فحسب ، بل ربط بين قضية الاستقلال الوطنى والاستقلال العالمى وبذلك وجد لنفسه الانصار الذين يؤمنون بحرية الشعوب فى تقرير مصيرها وهو الى هذا لم يقف من البيت المالك موقفا ايجابيا ليفصل بين الاستعمار وعملائه فيتحاشى مهاجمة الخديو والاستعمار معا ، وانما ربط بين الجانبين فحارب الخديو فى الوقت الذى حارب فيه الاستعمار على اساس ان الجانبين يعملان عملا موحدا فى سبيل استعمار البلاد واستثمارها وهو اذ خاض هذه المعركة المزدوجة لم ينس ان سبيل التحرر الحقيقى هو تحرير الجماعات وتحرير الفلاحين والعمال .. فدعا الى تطوير حياتهم الاجتماعية تطويرا يتفق والمرحلة التاريخية التى كان يحياها فى ذلك الزمن .. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى لم يشأ محمد فريد أن

(١) تطور الحركة الوطنية المصرية (١٨٨٢ - ١٩٥٦) شهدى عطية الشافعى

يساوم على قضية مصر ولم يشأ الانضمام الى أى من المعسكرين المتحاربين اذ تبين له ان الحرب فى الواقع لا ترمى فى غايتها القصوى الى تحرير الشعوب ، وانما ترمى الى اجراء تقسيم جديد للعالم .. فانطلق محمد فريد فى المحافل الدولية معلنا شعاره «مصر للمصريين»

وقال عنه امين الرافعى :

ـ لقد علمنا محمد فريد أن الحياة الحقيقيــة لا يعيشها الانسان بين الملـذات والسرور ، ولا بالثروة والجاه ، ولابالشهرة والالقاب ، ولابالسيطرة والسلطان وانما هى التى يقوم بها بأكثر الاعمال فائدة لبلاده ، وبأقدس الواجبات الوطنية .. كان يبتسم للعقبـات ولا يعبأ بالاضطهـادات ، لانه يعتقـد ـ كما يعتقـد الفلاسفة ـ ان العقبات لا تقف فى سبيل الارادة ، وان الارادة الصارمة تسحق العقبات وتزداد قوة بسحقها وما مثلها الا كمثل النار التى يلقى فوقها بعض الاشياء بقصد اطفائها ولـكنها تلتهم هذه الاشياء .. وبفضل ذلك الالتهام تزداد اشتعالا .. ان محمد فريد كان يستعذب الالم لانه ما كان يملك لنفسه حياة ولا موتا .. وانما الذى يملكه هو أن يقف جهوده على أمته » .

لقد كانت شخصيـة محمـد فريد من الشخصيات التاريخية الفذة التى كان لهـا فضـل كبير على مركز النضال العربى واذا كان محمد فريد لم ينل حقه أو بعض حقه فى حياته أو بعد مماته فحسبه فخرا اليوم أن الامة العربية تتطلع الى كفاحه ونضاله بعـد مرور ٥٠ عاما على وفاته ، مقدرة كفاحه ونضاله . واننا لنرجو فى كتابنا القادم الذى سيتناول كفاح محمد فريد خارج مصر أن نقدم صورة صادقة لجهاد ذلك الرجل العظيم المؤمن بحق شعبه فى الحرية والتقدم والسلام

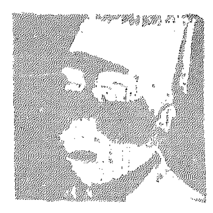
فهـرس

انجلترا :

IC PUB ATIONS
D ON BUREAU
7, Bishopsthrope Road
on S.E. 26
GLAND.

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
R. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

لن نكون مبالغين اذا قلنا ان هذا الكتاب بما أحتواه من كنوز علمية وتاريخية خطيرة تكتشف لاول مرة ، يعتبر الاول من نوعه في هذا المجال ، ولن نكون مبالغين اذا قلنا ان هذه الدراسة الجادة والجديدة بل والجريئة في اعادة تاريخنا القومي من جديد تعتبر بحق ، عملا تاريخيا هاما

لقد ظلت يوميات الزعيم الوطني الكبير محمد فريد ومذكراته السياسية والخطابات السرية ، التي ارسلها الى رفاقه في النضال والتي ارسلها هؤلاء اليه ـ وكلها تحوي أدق الاسرار واخطرها ـ سرا دفينا لم تتح لاحد من قبل فرصة الاطلاع عليها ودراستها بفهم وعمق ووعي الى ان جاء مؤلف هذا الكتاب ـ وهو من اوفى واصدق تلاميذ محمد فريد واكثرهم احاطة باسرار تاريخنا القومي ـ فبدا محاولته الجديدة لاعادة النظر في تاريخنا

واذ حالت في الماضي بعض الظروف دون كتابة تاريخنا على حقيقته ، واذ حابى الاقطاع التاريخي بعض الشخصيات وحرم شخصيات اخرى مما تستحق من تمجيد ، فان تلك الظروف وذلك الاقطاع لم يعد لها الان اية قوة ، او نفوذ ، ولهذا فان مؤلف هذا الكتاب وهو يدرس الوثائق التي خلفها محمد فريد لم يكن مقيدا الا بوجهة النظر التاريخية العلمية

يلقي هذا الكتاب بما احتوى من اسرار خاصة بتاريخنا القومي منذ ١٨٩٠ الى ١٩١٩ اضواء جديدة وهامة على خفايا الصراع الذي كان قائما بين الشعب المصري وبين الاحتلال البريطاني كما يلقي اضواء على الجوانب الخفية داخل القيادة الشعبية الوطنية

١٠ قروش